الفصل الأول

الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة

obeikandl.com

المبحث الأول: بيان حكم الدعوة إلى الله عز وجل وبيان فضلها

١ - حكم الدعوة إلى الله عز وجل:

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله جل وعلا: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله عز وجل: ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص: ٨٧].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب - كما هو معلوم - هو اتباعه، والسير على سنته ومنهجه ﷺ كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك هو الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر بالدعوة إلى الله على التمام صار الإثم عامّاً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكاناته، فالواجب أن توجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله عز وجل في أرجاء المعمورة، تُبَلِّغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة، وقدوتنا الرسول ﷺ، لقد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى

الله عز وجل [١].

والحمد لله في وقتنا اليوم قد يسَّر الله عز وجل أمر الدعوة بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة عن طريق: الإذاعة، والتلفزة، والصحافة، والطرق متعددة لتبليغ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى خلفاء النبي ﷺ أن يقوموا بهذا الواجب متكاتفين ليبلِّغوا رسالات الله عز وجل إلى العباد، ولا يخشوا في الله لومة لائم، دون محاباة كبير ولا صغير ولا غني ولا فقير، ويجب علينا كمسلمين وأتباع النبي ﷺ أن نبلغ أمر الله كما أنزل الله وكما شرع إلى عباد الله.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال ما معناه: ولتكن منكم أمة منتصبة لهذا الأمر العظيم تدعو إلى الله، وتنشر دينه، وتبلغ أمره سبحانه وتعالى.

ومن المعلوم أيضاً أن الرسول ﷺ دعا إلى الله، وقام بأمر الله في مكة حسب طاقته، وقام الصحابة كذلك رضي الله عنهم وأرضاهم بذلك حسب طاقتهم، ثم لمَّا هاجروا قاموا بالدعوة أكثر وأبلغ، ولما انتشروا في البلاد بعد وفاته ﷺ قاموا بذلك أيضاً رضي الله عنهم، كلٌّ على قدر طاقته وعلى قدر علمه، فنحن الآن عند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غَلَبة الجهل، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته سواء كان في قريةٍ أو مدينة أو قطر من الأقطار وخصوصاً الذين يعيشون في البلاد الأوروبية وأمريكا وغيرها من بلاد غير المسلمين يجب عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله بحسب إمكاناتهم وطاقاتهم وألا يجعلوا وجودهم في هذه البلاد لتجميع المال والعمل فقط للدنيا كما بَيَّن العلماء أن هذا فيه كراهة.

أما بالنسبة لولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة فعليهم من الواجب أكثر وعليهم أن يبلغوا الدعوة حسب الإمكان بالطرق الممكنة وباللغات الحية التي يتكلم بها الناس فيجب

---

(١) رسالة من الشيخ عبد العزيز بن باز عن الدعوة وأخلاق الدعاة.

عليهم أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات ، فإن الأمر الآن ممكن وقد تيسر بالطرق التي تقدم بيانها كطريق الصحافة والتلفزة والشريط الإسلامي وغيرها .

ونظراً لانتشار الدعوة الشيطانية إلى المبادئ الهدّامة وإلى الإلحاد ، وإنكار رب العباد ، وكذلك إنكار الرسالات والآخرة ، وانتشار الدعوة النصرانية وغير ذلك من الدعوات المضللة ، فإن الدعوة إلى الله عز وجل أصبحت اليوم فرضاً عاماً ، واجباً على جميع العلماء ، وعلى جميع الذين يدينون بالإسلام ، فإن الضرورة والحاجة ماسّة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك ، فيجب على كل مسلم أن يقابل هذا النشاط المضِل الداعي إلى الإلحاد بنشاط إسلامي وبدعوة إسلامية بشتى المستويات وبجميع الطرق الممكنة ، وهذا من باب أداء ما أوجبَ الله سبحانه وتعالى على عباده من الدعوة إلى سبيله .

٢ - فضل الدعوة إلى الله عز وجل :

وقد ورد في فضل الدعوة والدعاة إلى الله آيات وأحاديث كثيرة كما أنه ورد في إرسال النبي ﷺ الدعاةَ أحاديث لا تخفى على أهل العلم ، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

فهذه الآية الكريمة نوهت إلى الدعاة إلى الله وأنه لا أحد أحسن قولاً منهم وعلى رأس هؤلاء الدعاة الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم أتباعهم على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل ، فأنتم عباد الله يكفيكم شرفاً أن تكونوا من أتباع الرسل والمعنى: أنه لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وأرشد الناس إلى الله وعمل بما يدعو إليه الله ؛ أي: دعا إلى الحق وعمل به .

وأنكر الباطل وحذر منه وتركه ، وصرَّح بإسلامه ولم يخجل بل قال: إنني من المسلمين ، مغتبطاً وفرحاً بما مَنَّ الله به عليه ، وليس كمن يستنكف عن ذلك ويكره أن ينطق بأنه مسلم أو أنه يدعو إلى الإسلام ؛ لمراعاة فلان أو لحساب فلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، بل المؤمن الداعي إلى الله القوي الإيمان ، البصير بأمر الله يصرح بحق الله ، وينشط في الدعوة إلى الله ويعمل بما يدعو إليه ، ومع هذا يغتبط ويفرح بما يفعل كما قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ

﴿ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨] .

فالفرح برحمة الله وفضله فرح الاغتباط والسرور ، أمر مشروع ، أما الفرح المنهي عنه فهو فرح الكِبر ، كما قال الله عز وجل في قصة قارون: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] وهذا هو الذي ينهى عنه .

والدعوة إلى الله من أهم وأعظم القُرُبات ومن أفضل الطاعات ، وإن أهلها في غاية من الشرف وفي أرفع مكانة ، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأكملهم في ذلك خاتمهم وإمامهم وسيدهم نبينا محمد ﷺ ، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] .

فبَيَّن الله عز وجل أن الرسول ﷺ يدعو على بصيرة ، وأن أتباعه كذلك يدعون على بصيرة فهذا فيه فضل الدعوة ، والبصيرة: هي العلم بما يدعو إليه الله وما ينهى عنه ، وفي هذا شرف وتفضيل للنبي ﷺ وأتباعه ، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»** (١) ، وقال ﷺ : **«من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا يَنقُص ذلك من آثامهم شيئاً»** (٢) .

ومما يدل على فضل الدعوة إلى الله عز وجل ما صح عنه ﷺ : أنه قال لعلي رضي الله عنه وأرضاه: **«فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرُ النَّعَم»** (٣) .

ومما يدل على فضل الدعوة إلى الله عز وجل وما فيها من الخير العظيم: أن الداعي إلى الله جل وعلا يعطى مثل أجور من هداه الله على يديه ، ولو كانوا آلاف الملايين . . . ، فهنيئاً أيها الداعي إلى الله بهذا الخير العظيم ، وبهذا يتضح أيضاً أن الرسول ﷺ يُعطى مثل أجور أتباعه إلى يوم القيامة ، لأنه بلغهم رسالة الله ودلهم على الخير وهكذا الرسل يعطون مثل أجور أتباعهم ، وأنت كذلك أيها الداعية إلى الله في كل زمان ومكان تعطى مثل أجور

---

(١) صحيح مسلم ٣٥٠٩ كتاب الإمارة .
(٢) صحيح مسلم٤٨٣١ كتاب العلم .
(٣) متفق عليه .

أتباعك والقابلين لدعوتك ، فاغتنم هذا الخير العظيم وسارع إليه قبل فوات الأوان .

ويكفى الداعى فخرا أنه :

هو سبب للنصر والتمكين في الدنيا . . : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

- تبليغ الداعي يُكسبه دعاء الرسول ﷺ للمبلغين . : «**نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه...**» (١) .

ممن يشملهم الله برحمته الغامرة . . ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

للداعي أجر عظيم يتضاعف بعدد الذين يستجيبون له . . : «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**» (٢) .

- يكفي الداعي شرفاً وكرامة أن قوله يعتبر أحسن الأقوال ، وأن كلامه في التبليغ أفضل الكلام . . ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] . - الداعي من المفلحين والسعداء في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

يكفي الداعي فخراً أن تسببه في الهداية خير مما طلعت عليه الشمس وغربت : «.. **فوالله لئن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم**» (٣) ، وفي رواية : «**خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**» .

- الداعي يُثبت معاني الخير والصلاح في الأمة . . ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري .

لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

- الداعي صمام أمان المجتمع وعامل إزالة الشر والفساد . . ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨] . الداعي يبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل واهتمام المسلمين بعضهم ببعض . . ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١] .

٣ - الموضوعات الدعوية :

أقصد بموضوع الدعوة: الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من ربه - سبحانه وتعالى - وهو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة مناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربِّه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

لذا على صاحب المشروع أن يدعو الناس بالإسلام كله، كما دعا به النبي ﷺ، مراعياً حالة المدعو، والمرحلة الزمنية التي يعيشها .

موضوعات دعوية لطرحها في واقع الناس :

يحسن بالداعية أن ينوع بين الموضوعات والكلمات مع مراعاة حسن الإعداد والتحضير، ومنها :

١- الموضوعات الإيمانية: مثل : "حسن الصلة بالله، ذكر الله، التوبة، قصص مؤثرة . . . " .

٢- الموضوعات العلمية: مثل: "الوضوء، الصلاة، سجود السهو، البيوع المحرمة . . . " .

٣- الموضوعات الاجتماعية : مثل : "بر الوالدين، حقوق الجار، حقوق الزوجين . . . " .

٤- الموضوعات الدعوية: مثل: "توصيل الخير للغير، التعاون على البر والتقوى . . . " .

وغيرها كثير من موضوعات الإسلام الشاملة ؛ بل الإسلام كله موضوع للدعوة إلى

الله ، وأظنك أخي الداعية على قدر من حسن الاختيار ، ومراعاة ما يناسب الحال .

٣ - أن تكون على علم بدعوتك :

أي :على علم ؛ لا تكن جاهلاً بما تدعو إليه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

فلابد من العلم ، فالعلم فريضة ، فإياك أن تدعو على جهالة ، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم ، فالجاهل يهدم ولا يبني ، ويفسد ولا يصلح ، فاتقِ الله يا عبد الله ، إياك أن تقول على الله بغير علم ، لا تدعُ إلى شيء إلا بعد العلم به ، والبصيرة بما قال الله والرسول ﷺ ، وهي العلم فعلى طالب العلم وعلى الداعية أن يتبصَّر فيما يدعو إليه ، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله ، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك ، سواء كان ذلك فعلاً أو تركاً ، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة إلى الله ورسوله ، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة .

أن تكون حليماً في دعوتك ، رفيقاً فيها ، متحملاً صبوراً ، كما فعل الرسول ﷺ ، وإياك والعنف والشدة والعجلة ، والتزم الصبر والحلم والرفق في دعوتك، كما قال الله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقوله جل وعلا في قصة موسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤] .

٤ - بيان الأمر الذي يُدعى إليه :

أما الشيء الذي يدعى إليه ويجب على كل داعية إلى الله أن يوضحه للناس كما وضح الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى أتباعهم فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم ، وهو الإسلام ، وهو دين الحق ، هذا هو محل الدعوة ، كما قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

فسبيل الله عز وجل هو الإسلام ، وهو الصراط المستقيم الذي يجب أن ندعو إليه لا

ندعو إلى مذهب فلان ولا رأي فلان، ولكن ندعو إلى دين الله، ندعو إلى الصراط المستقيم، وهو الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ، وهو ما دل عليه القرآن العظيم والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، إلى الإخلاص لله وتوحيده بالعبادة، إلى الإيمان ومتطلباته، هذا هو أساس الصراط المستقيم والدعوة إلى الشهادتين، ومعنى ذلك أن ندعو إلى الإيمان بما أخبر به الله رسوله من أمر الآخرة وآخر الزمان وغير ذلك.

ويدخل في ذلك أيضاً الدعوة إلى ما أوجب الله من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، . . . إلى غير ذلك.

ويدخل أيضاً في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بما شرع الله في الطهارة، والصلاة، والمعاملات، والنكاح والطلاق، والجنايات، والنفقات، والحرب والسلم، وفي كل شيء؛ لأن دين الله عز وجل دين شامل، يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهناك طائفة من طوائف المسلمين تدعو إلى فضائل الأعمال فقط تاركين من أمر دعواهم جُلّ ما تقدم مما ذكرت من أمور الدين، والأصل كما قلنا أن دين الله دين شامل كما بَيَّن الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾[البقرة: ٢٠٨] يعني خذوا الإسلام كلاً متكاملاً فلا يجوز أن يكون الدين فقط في ست صفات للصحابة أو مبنيّ على ستة أصول أو غير ذلك.

وقد قال جماعة من السلف: معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٨].

ادخلوا في السلم جميعاً، يعني: في الإسلام، يقال للإسلام:سِلم؛ لأنه طريق السلامة، وطريق النجاة في الدنيا والآخرة، فهو سِلمٌ وإسلام، فالإسلام يدعو إلى السلم، يدعو إلى حقن الدماء بما شُرِعَ من الحدود والقصاص والجهاد الشرعي الصادق، فندخل في جميع شعب الإيمان، ولا نأخذ بعضه وندع البعض، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[البقرة: ٢٠٨] يعني: المعاصي التي حرمها الله عز وجل فإن الشيطان يدعو إلى المعاصي وإلى ترك دين الله كله، ولهذا يجب على المسلم أن يتمسك بالإسلام كله، وأن يدين

بالإسلام كله ، وأن يعتصم بحبل الله عز وجل ، وأن يحذر أسباب الفرقة والاختلاف في جميع الأحوال .

والخلاصة: أن الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله ، ولا يفرق بين الناس ، وألا يكون متعصبا لمذهب دون مذهب ، أو لقبيلة دون قبيلة ، أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك ، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه ، واستقامة الناس عليه ، وإن خالف رأي فلان أو فلان أو فلان ، ولما نشأ من يتعصب للمذاهب ويقول: إن مذهب فلان أَوْلى من مذهب فلان ، جاءت الفرقة والاختلاف حتى آل ببعض الناس هذا الأمر إلى ألا يصلي مع من هو على غير مذهبه ، فلا يصلي الشافعي خلف الحنفي ، ولا الحنفي خلف المالكي ولا الحنبلي ، وهذه البدع في الدين وقعت من بعض المتطرفين المتعصبين ، وهذا من البلاء ومِن اتباع خطوات الشيطان ، فالأئمة: الشافعي ، ومالك ، وأحمد ، أبو حنيفة ، والأوزاعي ، وإسحق بن راهويه ، وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة حق ، دعَوُا الناس إلى دين الله وأرشدوهم إلى الحق ، ووقع هناك مسائل بينهم ، اختلفوا فيها ؛ لخفاء الدليل على بعضهم ، فهم بين مجتهد مصيب له أجران ، وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد ، فعليك أن تعرف لهم قدرهم وفضلهم وأن تترحم عليهم ، وأن تعرف أنهم أئمة الإسلام ودعاة الهدى ، ولكن لا يحمل كذلك على التعصب والتقليد الأعمى فتقول:مذهب فلان أولى بالحق على كل حال ، أو مذهب فلان أولى بالحق على كل حال لا يخطئ (لا هذا خطأ) .

في أمر الدعوة عليك أن تأخذ بالحق وأن تتبع الحق إذا ظهر دليله ولو خالف فلانا أو فلانا ، ولابد أن تجعل مخافة الله ومراقبته جل وعلا بين عينيك ، وتنصف من نفسك ، مع إيمانك بأن الحق واحد ، فالمقصود من الدعوة والهدف منها إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به ، والنجاة من النار ومن غضب الله ، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى ، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة ، هذا هو المقصود من الدعوة ، كما قال جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

فالرسل بعثوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور وكذلك دعاة الحق يقومون

بالدعوة وينشطون لها ؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ولإنقاذهم من النار ومن طاعة الشيطان ، وإخراجهم من طاعة الهوى إلى طاعة الله ورسوله .

٥ - صورة من حياة النبي ﷺ للذاتية الدعوية :

عن أنس رضى الله عنه قال : "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له: أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»[(١)] .

النتائج المتوقعة :

١- إنقاذ الناس من النار برحمة الله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

٢- نشر الخير بسرعة في أوساط الناس .

٣- التقليل من أبناء الشر والإكثار من أبناء الخير .

٤- نصر الله للأمة الإسلامية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧] .

٥- كل قول أو عمل يفعله المهتدي يكون في ميزان الداعية .

٦- تحقيق هدف من أهداف العمل الإسلامي وهو إنشاء المجتمع المسلم[(٢)] .

* * * * *

(١) البخاري .

(٢) كلنا دعاة أكثر من ١٠٠٠ فكرة ووسيلة وأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى تجارب العلماء والدعاة قديماً وحديثاً عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي/ بتصرف/ الناشر دار الطرفين للنشر والتوزيع .

obeikandl.com

المبحث الثانى
من أخلاق الأنبياء

يعيش الدعاة اليوم معركة ، بل معارك ، ويواجهون تحديات عظيمة وسهاماً حادة ، تخترق الصميم وتنقل الدعاة من جو الهدوء والوقار والسكينة إلى جو الصخب والشائعات وهتك الأعراض دون مخالفة ولا ريب ، فكيف يتحقق لهم ملك النفس وخطم جماحها ، ورفع الهمة عن مسايرة هذه الهمم الوضيعة والصبر عليها . .

والأعظم من ذلك الأخذ بيدها للارتقاء إلى منازل أصحاب الهمم العالية ، المشمرين إلى الله تعالى . وتتمثل قول القائل:

إذا أدمت قوارصكم فؤاد . صبرت على أذاكم وانطويت
وجئت إليكم طلق المحيا كأني ما سمعت ولا رأيت

ولا شك أن الصبر على الأذى وكظم الغيظ والحلم والعفو عند المقدرة هي أخلاق أنبياء الله وصفوته من خلقه ومن تبعهم من أوليائه المخلصين الصادقين الذين رفع الله مكانتهم وأعلى قدرهم ، فكانوا جبالاً وقمماً صلبة وراسخة ، فأتاهم وابل السهام المصوبة فتحطم عن صخورها الأبية ، ويعود بعضها إلى صدر من رماها منتكسة . لذا كان لزاماً على الداعية المسلم أن يملك نفسه ويسعى للتخلق بهذه الأخلاق العظيمة في جميع مجالات الدعوة وميادينها ، ومنها مجالات الحوار والكتابة والرد على المخالفين . هو وإن كان شديداً على النفس ، إلا أن الله يعين العبد إذا علم بصدقه وإخلاصه ، "مرَّ الرسول ﷺ بقوم فيهم رجل يرفع حجراً يقال حجر الأشد ، قال: «**ألا أخبركم بما هو أشدّ منه رجل سبّه رجل فحلم عنه فغلب نفسه وغلب شيطان صاحبه**»[1] .

قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[الأعراف: ١٩٩ - ٢٠١] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ

---

(١) رواه البزار بسند حسن .

كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦] .

وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٦] . وتحقق لهم محبة الله كما في قوله: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

قال ابن تيمية - رحمه الله - في بيان سبب محبة الله لهم: "لأن درجة الحلم والصبر على الأذى والعفو عن الظلم، أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام"، ولدفع أذى الخلق ونيل الدرجات العالية، والوصول إلى هذه المرتبة من الحلم والصبر وسلامة الصدر على العبد أن ينظر إلى عدة أمور:

الأول: القدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

الثاني: التحلي بالصبر وليتأمل ما أعده الله للصابرين عن حسن العاقبة وموفور الجزاء، ولن ينال ذلك إلا بالصبر . كما قال ابن القيم رحمه الله : "وعلم أنه إن لم يصبر اختياراً على هذا وهو محمود، صبر اضطراراً على أكبر منه وهو مذموم" .

الثالث: عاقبة العفو والصفح والحلم، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[1] والعز هنا يشمل عزاً ومحبة في قلوب الخلق في الدنيا وعزاً في الآخرة .

الرابع: أن يرضى بما أصابه، وهذا فوق ما قبله، وهذه منزلة عظيمة لا ينالها إلا أصحاب الهمم العالية، ولا سيما إن كان ما نالها كان السبب القيام بحقّ الله تعالى .

الخامس: مقابلة الإساءة بالإحسان، فكلما أساء إليه الخلق أحسن إليهم، وليستشعر العبد أنه بهذا الإحسان يزيد إليهم شيئاً من إحسانهم إليه بإهدائهم إياه حسناتهم وأجورهم! وهذا مما يجعل الأمر يهون على العبد، فيعلم أنه يكافئهم على ما أهدوه إليه من عظيم

---

(١) رواه مسلم .

الأجر ، وما تحملوا عنه من عظيم الوزر .

السادس: سلامة الصدر ، فلا يشغل قلبه بما لا يعنيه ، وليعلم أنه كلما اشتغل العبد بشيء من هذه الأمور فاته ما هو أهم وأنفع له من الإقبال على الله ورجاء ثوابه . قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته" .

السابع: حصول الأمن ، فالعفو والحلم يقتلعان العداوة ويقضيان عليها ، بخلاف الانتقام الذي يزيدها ويشعلها ، فتزرع العداوات وتزداد الضغائن ، فلا يأمن العبد عندها من مباغتة عدوه .

الثامن: دفع ثمن البيعة ، فالمؤمن قد عقد الصفقة مع الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١] . فإن كان الذي ناله من الأذى في سبيل الله ، فلا يحق له أن يطلب لذلك عوضاً غير السلعة التي وعده الله تعالى بها وهي الجنة . قال تعالى في ذكر وصية لقمان عليه السلام لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] . ولما عزم الصديق على أن يأخذ من المشركين ديات المسلمين وأموالهم التي أتلفت في حرب الردة ، قال عمر رضي الله عنه: "تلك دماء وأموال ذهبت في الله ، وأجورها على الله ، ولا دية لشهيد" . وهذا مشهد من الصحابة ولم يعرف له مخالف ، فكان هذا إجماعاً .

التاسع: عظيم المنّة في هذه النعمة ، وذلك يظهر من وجوه:

١- كونه جُعل مظلوماً يرجو من الله النصر ، ولم يكن ظالماً ينتظر من الله البطش والعقوبة .

٢- التكفير من خطاياه وذنوبه ، فما يصيب العبد من شيء حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه .

٣- أن يحمد الله أنها لم تكن في دينه ، وينظر إلى ما هو أعظم منها .

٤- أن يدخر جزاءها عند الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، في يوم هو في أمسّ الحاجة إلى حسنة ينجيه الله بها يوم القيامة .

العاشر: أن يتأسى بمن سبقه من الأنبياء والرسل والأولياء الذين هم من أفضل الخلق، ومع ذلك كانوا أشدّ الناس بلاء، فليتأس بهم ليهون عليه ما ناله مما لا يساوي شيئاً مع ما وقع عليه من أذى.

الحادي عشر: أن يشتغل بالله تعالى والتعلق به وتوحيده ومحبته والإخلاص له، والتقرب منه، والشوق إليه. قال ابن القيم رحمه الله: " وهو أجلّ المشاهد وأرفعها، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله، والإخلاص له ومعاملته، وإيثار مرضاته، والتقرب إليه، وقرة العين به، والأنس به، واتخذه ولياً دون من سواه، بحيث فوّض إليه أموره كلها، ورضي به، وبأقضيته، فإنه لا يبقى في قلبه متسع لشهود أذى الناس له البتة، فضلاً عن أن يشتغل قلبه وفكره وسره بطلب الانتقام والمقابلة".

الثاني عشر: ترويض النفس ومجاهدتها في تغيير ما فيها من سوء الخلق، وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[1]. وبالتخلق والتكلف يصبح هذا الخلق سجية للعبد، وفي حديث أشج عبد القيس - رضي الله عنه - عندما قال له الرسول ﷺ: «**إنّ فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**»، فقال: أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ فقال: «**بل جبلك الله عليهما**»، فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[2].

قال ابن القيم رحمه الله :"يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقاً بمنزلة الطبائع، قالوا: وقد جعل الله سبحانه في الإنسان قوة القبول والتعلم، فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل، غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفاً فيعود العبد إلى طبعه بأدنى باعث، وقد يكون قريباً ولكن لم ينقل الطبع، فقد يعود إلى طبعه إذا قوي الباعث واشتد، وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعاً ثانياً، فهذا لا يكاد يعود إلى طبعه الذي انتقل عنه" اهـ. وفق الله الجميع لنيل أعلى مراتب الأخلاق، وجعلنا جميعاً من عباده المحسنين الصابرين، إنه ولي ذلك والقادر عليه[3]..... آمين.

* * * * *

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) د. قذلة بنت محمد القحطاني/ بتصرف.

المبحث الثالث
ومن أهم هذه الأخلاق

يقول الله عز وجل مادحاً الرسول ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

فالأخلاق الفاضلة من أحسن ما يمكن أن يتحلى به الداعية ، فبها يستطيع أن يكسب الكثير من المدعوين ، فقد سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[١] ، ومن أهم هذه الأخلاق:

التواضع: «**فمن تواضع لله رفعه الله**»[٢] .

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يقضي للناس حوائجهم حتى كانت الجارية تأخذ بيده ﷺ وتطوف به في المدينة ، وكان ﷺ يسلم على الصبيان وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة: ٥٤] .

فيجب على الداعية ألا يغفل عن هذا الخلق العظيم إلا أن الدعاة لكثرة مشاغلهم قد يصدر عنهم تصرف يبدو للمدعوين أنه متكبر ، فلا يفتح الداعية على نفسه هذا الباب وعليه بالصبر .

الحلم وهو أمر مهم لأي داعية ولنا أسوة حسنة في خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ ففي حديث البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال:" كنت ماشيا مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال الأعرابي : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه ﷺ ضاحكاً ثم أمر له بعطاء"[٣] .

فانظر إلى حلمه وتواضعه ﷺ على هذا الأعرابي ، فيلزم على الأعرابي أن يلتزم بهذا الخلق الحسن ، ولكن لا يصل به الحال لدرجة الذل فأحياناً يصفح عمن أساء إليه لأنها من صفات المؤمنين ، وأحياناً يكون عليه أن ينتصر لنفسه ليحافظ على مكانته ، ويرهبه أعداء

---

(١) مسلم٤٤٦ .
(٢) النووي / مسلم١٦/ ١٤١ .
(٣) الفتح١٠/ ٥٠٣ .

الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى: ٣٩].

الداعية البصير أخلاقه وصفاته ومنهجه:

١- الداعية البصير.. يبدأ بالأهم فالمهم.

٢- الداعية البصير.. لا يتعصب ولا يتحزب ولا ينتمي إلاّ للكتاب والسنة.

٣- الداعية البصير.. يحقق مبدأ الوسطية الحقة.

٤- الداعية البصير.. يحذر أشدَّ الحذر من تصنيف الناس بالظنّ.

٥- الداعية البصير.. يعتني بالقواعد الشرعية في دعوته.

٦- الداعية البصير.. يراعي فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد.

٧- الداعية البصير.. وفِقْهُ إنكارِ المنكر.

٨- الداعية البصير.. يعتني ببيان محاسن الإسلام.

٩- الداعية البصير.. يحذر من مخالفات الكتاب والسنة مسايرةً للواقع.

١٠- الداعية البصير.. يتقن المحاورة وآدابها.

١١- الداعية البصير.. يجمعُ بين القوتين: العلمية والعملية - قدر المستطاع.

١٢- الداعية البصير.. يتثبت دائماً ولا يتعجل.

١٣- الداعية البصير.. وفقه الفتن.

١٤- الداعية البصير.. يتفقدُ قَلْبَهُ.

١٥- الداعية البصير.. لا يستوحش من قلة السالكين.

١٦- الداعية البصير.. يقابل الضعف بالقوة.

١٧- الداعية البصير.. يُفرّق بين مرتكبي المعاصي، وينـزل كلاً منـزلته.

١٨- الداعية البصير.. يستشعر مسؤولية الكلمة ويفكر قبل أن يجيب.

١٩- الداعية البصير.. مبارك أينما كان.

obeikandl.com

٢٠- الداعية البصير . . لا يشغل نفسه بالآفات ما لم تعترضه .

٢١- الداعية البصير . . . يُداري ولا يداهن .

٢٢- الداعية البصير . . يتعاهدُ المسلمين بالزيارة والتواصل .

٢٣- الداعية البصير . . لا تفارق الابتسامة والبشاشة وجهه .

٢٤- الداعية البصير . . حليمٌ ذو وَقارٍ وسكينة .

٢٥- الداعية البصير . . رفيقٌ رحيمٌ ، وغليظٌ شديدٌ .

٢٦- الداعية البصير . . يكثر من الاستشارة .

٢٧- الداعية البصير . . يستخير الله قبل العمل .

٢٨- الداعية البصير . . يُوطنُ نفسهُ عَلَى البلاءِ ويصبرُ إذا نزلَ بهِ .

٢٩- الداعية البصير . . يكثر من الدعاء لنفسه بالتوفيق [١] .

ال الناس منازلهم :

من عوامل نجاح الدعوة أن يُنزل الداعية كل إنسان منزلته ، فمن كان من أهل المكانة والوجاهة ، أنزله المكانة التي تليق به ، ومن كان شيخاً للقبيلة أنزله منزلته ، ومن أراد أن يسخر من الناس في دعوته فهو الذي يبوء بالفشل ، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت:" أمرنا رسول اللهﷺ أن ننزل الناس منازلهم" وفي سنن أبي داود من طريق ميمون بن أبي شبيب أن عائشة - رضي الله عنها - مرّ بها سائل فأعطته كسرة ، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل ، فقيل لها في ذلك ، فقالت: قالﷺ : **«أنزلوا الناس منازلهم»** [٢] .

وقد كان النبيﷺ إذا كتب كتاباً إلى ملك أو غيره ينزله منزلته ، فمن ذلك مثلاً: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم [٣] ، والشاهد هنا قوله: عظيم الروم ،

---

(١) الداعية البصير . . للدكتور / علي بن عبد الله الصباح .

(٢) الحديثان مختلف في صحتهما فمن أهل العلم من يقول أنهما منقطعان ومنهم من يقول أنهما متصلان .

(٣) فتح الباري ١/ ٣٢ .

فيجب على الداعية أن ينتبه لهذا الحديث ، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ .

صفات الداعية :

- الإخلاص لله والمتابعة (لأشرف الأنبياء والمرسلين) .
- العلم والحكمة .
- الحرص على المدعوين والتلطف بهم .
- علو الهمة والتفاؤل دائماً .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المداومة على الذكر وتعهد النفس بالتربية الربانية .
- التحدث مع الناس بما يعقلون .
- القدوة الحسنة والالتزام والانتهاء عن كل ما نهى عنه وحذر .
- العلم بحال المدعوين .
- المعرفة لما يدعو إليه .
- استحضار الصدق واستشعار المسؤولية والأجر .
- حضور الذهن وصفاء البال واطمئنان النفس واصطحاب الحجة والبرهان .

طريق الدعوة :

- دعوتنا مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ على منهاج سلف الأمة الصالحين .
- الداعية يستضيء بهما ويدعو إليهما ويدافع عنهما ويبذل الغالي والنفيس في خدمتهما .
- إلى الله ندعو على بصيرة وهدى .
- نعلم ما ندعو إليه ونبين للناس الحق .

obeikandl.com

- بالقلم واللسان والعلم والمال والقدوة الحسنة تنتشر دعوتنا .
- نغرس مبادئ الإسلام ثم نفصل أحكام شريعتنا الغراء .
- بالترغيب والترهيب والحوار والإقناع والحجة الواضحة نصل إلى القلوب ونوصلها للحق .
- بالرفق واللين والصبر واليقين تنتصر دعوتنا .

قلب الداعية :

- ينبض بالإيمان ، ومحبة الرحمن ، وطاعة الرسول العدنان ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .
- يتأجج حرقة ، ويذوب ألماً ، لانتشار الجهل والمعاصي وانحراف المجتمع .
- يتفجر طاقة وجهداً في خدمة الإسلام والمسلمين .
- متعلق بالرحمن ، راجٍ هداية الناس إلى طريق الجنان .
- يفرح بانتصار الحق وانتشار النور ويحزن إذا ما أزبد الباطل وأرعد .
- مشرئب بالعلم والنور ، متجرد للعزيز الغفور .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى أهدافه وأجل مقاصده .
- محبة الخلق وهدايتهم تحلق في أرجائه .

قلم الداعية :

- بالحق يمضي على صفحات الإخلاص .
- يدعو إلى تعاليم الدين ، ويسطر الحكمة والبراهين .
- يدحض المضللين وينافح عن الدعاة المخلصين .
- يبين البدع والضلالات ويحارب المعاصي والمنكرات .
- ينثر الحرف إيماناً ويقيناً ، وينظم الشعر إسلاماً مبيناً .

obeikandi.com

- على كلماته يرفرف التوكل على الله ، وبين جنباته يبتغي مرضاة الله .
- مداده محبة الله ورسوله ﷺ ، وشعاره الدعوة إلى الله .
- لا يخشى في الله لوم لائم ، وفي سبيل الحق ماض ودائم .

دعوى في المحراب :

في المسجد عليك بالخصال التالية :

- كن سباقاً إلى الصف الأول ، ومحافظاً على صلاة الجماعة .
- تزين وتجمل للعبادة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] .
- حافظ على السنن الرواتب تنل أسمى المراتب .
- التبكير إلى الصلاة استثماراً للوقت بأداء الرواتب وقراءة القرآن والذكر والاستغفار .
- إعمار المساجد شعارهم: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» .
- تعهد المأمومين بالكلمات التوجيهية والمواعظ الإيمانية .
- النشرات الدعوية ، وضع الملصقات الإرشادية مع الترتيب والتجديد جمال للمسجد وتوعية للمصلين .
- تعليم الجاهل ، وتوجيه الصغير والتلطف مع الكبير شعار المؤمنين .
- احترام المساجد والالتزام بآدابها ، نابع من استشعار الوقوف أمام الله تعالى .
- من أعظم عمارة بيوت الله بذل الجهد والمال والعلم : دعوة وتعليماً .

دعوة في رحاب المدرسة :

- ابحث عن خشية الله في قلبك ليصدق عليك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] .
- هنيئاً لمعلم الناس الخير ، وأعانه الله على ثقل الأمانة ، ونشر ميراث النبوة .
- العلم يصدقه العمل ، ولا خير في علم على ورق ، إذا لم يشع نوراً في وجهك

وتتشبع به روحك وجوارحك .

- القدوة ضالتك ، والقيم السامية ثروتك ، فلا ثروة بلا قيم ولا تأثير دون أن تكون قدوة .
- خاطب قلوب الطلاب قبل عقولهم ، فإذا وقر الحديث في القلب وعاه العقل بيسر وسهولة .
- أدبهم وعلمهم في جو أبوي إيماني تكن معلماً ناجحاً وداعية موفقاً .
- تعرف على مشاكلهم وبادر في حلها ، وترفق في مخاطبتهم وإرشادهم .
- كن صادقاً يصدقك تلاميذك ، وإياك والكذب فإنه آفة تخدش مكانة العلم وجمال المعلم .
- شجع المتفوقين ، وانشر الحماس بين الحاضرين وتجاوز عن المقصرين ، وتعهدهم بالتذكير .
- لسانك بالعلم يسمو ، فلا يلهجن بسوء أو يمضين بما لا يليق ، وأكرم نفسك بالترفع عن سقطات الجاهلين .
- خلق المعلم والطالب دعوة عملية للمعلمين والطلاب .
- أنصت بقلبك ، وكن سباقاً للعمل .
- تعاونك مع الأخيار ونشر الإخاء هي الأرض الخصبة للدعوة إلى الله .
- تحلّ بمكارم الأخلاق ، واشمخ بإيمانك ، واجتهد في دراستك ، واستشعر عظم العلم ومكانته .
- اخفض صوتك ، وغض من طرفك ، واجعل بينك وبين من حولك سمت الاحترام .
- إياك والغش ، وحافظ على الانضباط ، وتعهد درسك بالمذاكرة ، وزملاءك بالنصيحة ، ومعلميك بالشكر والامتنان .

obeikandl.com

الدعوة أسس ومبادئ :

- الحرص على هداية المدعوين ومراعاة أحوالهم من أعظم مبادئ الدعوة .
- التأصيل العلمي والإلمام بالتعاليم الإسلامية المراد إبلاغها .
- التعامل مع المدعوين بما يتناسب مع مكانتهم وبيئتهم (تعليماً - تربية - حديثاً ملاطفة - حُجة) .
- التجديد والتنويع في الوسائل والإمكانات الدعوية فنحن أحق بتزيين الحق من أهل الباطل بباطلهم .
- الأقربون أولى بالمعروف ، وأسمى المعروف الدعوة والتعليم فابدأ بمن تعول ثم الأقرب فالأقرب .
- من إتقان الدعوة التنويع والإبداع بشتى الوسائل المتاحة بالقلم واللسان والنظم والبيان .
- مراعاة الأولويات الدعوية وخاصة الجوانب العقدية .
- على الداعية البلاغ وعدم استعجال النتائج ولنا في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أسوة حسنة .
- الكتاب والسنة ، وهدي سلف الأمة ، وتقوى الله ، زاد الداعية ، والصبر بداية النجاح .
- الدعوة مهمة المسلمين كافة مصداقاً لقول المصطفى ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية**» .

المسلم داعية في بيته :

- قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] .
- نادى الرحمن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] .
- بين الرسول ﷺ : «**كلكم راع وكل راعٍ مسؤول عن رعيته**» .

- المجتمع بيتنا وبيتك ، فإذا أصلحنا بيوتنا أشرق المجتمع صلاحاً وإيماناً .
- اغرس التربية الإيمانية في قلوب أبنائك لترى الحصاد عزاً وشموخاً .
- ضع برنامجاً دعوياً في أرجاء البيت ، يلحق بالقرآن والحديث والفقه والسيرة والأدب .
- أنت مرآة أبنائك فكن قدوة حسنة لهم .
- من الحلال أطعمهم ، وبالدين قومهم وبالعلم جملهم ، وإلى مكارم الأخلاق أرشدهم وعلمهم .
- اجعلهم بالدين أعزاء وعلى طريق الحق يمضون ، وعلى الله في كل حين يتوكلون .
- كن لهم أباً وأخاً ومعلماً ومربياً ، وإياك وتضييع الأمانة ، فهم أمانة في عنقك .
- سل عن صلاتهم ، وكيف هي هيئتهم ، وماذا عن أعمالهم ، لتعلم نتيجة التربية وثمرة الجهد .
- بالصدق عاملهم ، وبالمحبة وجههم ، وبالرأفة واللين تعهدهم ، ولا تبخل عليهم بوقتك وجهدك ومالك .
- اجعلهم من رواد حلقات التحفيظ ، وأزل الشوك عن طريقهم ، وارفع الجهل عنهم ، وازرع خشية الله في قلوبهم .
- أدبهم بالقرآن ، واجعل قلوبهم معلقة بالجنان ، وتعهدهم بسيرة خير الأنام ﷺ والصحب والسلف الكرام .
- احرص على الزوجة أو الزوج المناسب لفلذات أكبادك ، فإنه من الأمانة أن تودعهم مكاناً آمناً ومقراً بالإيمان مطمئناً .
- ليكن الاحترام تاجاً على رؤوسهم ، ومحبة الناس شعارهم ، ومرضاة الله غايتهم ، وسنة نبيه ﷺ سبيلهم .

obeikandl.com

داعية في عمله :

- استشعر رقابة الرحمن:
- ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] .
- اعمل بوصية خير الأنام ﷺ : «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**» .
- القوة والأمانة جناحا العمل فحافظ عليهما .
- أرشد العاملين لكل خير ، وأخلص في انتشالهم من الخطايا والآثام .
- ترفع عن سقط الكلام ، واختر لنفسك صفات الكرام تنل محبة واحتراماً .
- لتكن ليناً في سماحة ، قوياً في حكمة ، مشفقاً في نصيحة .
- من شيم الكرام التجاوز عن الهفوات ، فغض طرفك عن عثراتهم ، واعمل على إنقاذهم إلى النور والأمان .
- لا تفارق ابتسامتك محياك ، وارفق بالمراجعين عملاً بوصية خير المرسلين ﷺ .
- أفش السلام ، وطيب بذكر الله الكلام ، وقم بعملك على أكمل وجه وأحسن نظام .
- كتاب وشريط ورسالة ، تلج إلى قلوب العاملين ، تذلل طريق الدعوة .
- كن مثالياً في سمتك ، إيجابياً في عملك ، حريصاً على شعور زملائك ، باسطاً كف التوجيه والإرشاد للجميع .

حكمة الداعية :

- عمود الدعوة وإحدى ركائزها الأساسية .
- أمر بها الرحمن ، وتمثلها عملاً وخلقاً سيد الأنام عليه الصلاة والسلام .
- هي السحر الحلال ، وهي تاج على رؤوس الدعاة ، تزين دعوتهم وتحقق أهدافهم .
- تأسر قلوب العصاة ، وتعيد الأمل في نفوس المدعوين .
- مصباح الدعوة المضيء ، ونهج الكتاب والسنة المشرق .

obeikandi.com

- أسلم بها الكافر ، واسترشد بها الضال ، وقويت بها الدعوة وبلغت ذروتها .
- سبيل الأنبياء وزاد الدعاة الأتقياء .
- روح الدعوة وعنوان بقائها .
- مطلب المدعوين وضالتهم التي عنها يبحثون .
- خلق نبيل وحس إسلامي جليل .

لسان الداعية :

- ينطق في مرضاة الله ويلهج بذكر الله .
- يسمو عن كل دان ويرتقي إلى المعاني الحسان .
- نثره حق واضح وشعره نظم المشفق الناصح .
- يدور مع الإسلام حيث دار ، يدعو إليه بكل بلاغة واقتدار .
- بالحكمة مزدان ، بديع النظم ناصع البرهان .
- باللين يتغلغل هدى ونوراً في قلوب المدعوين .
- إذا حدّث صدق ، وبمجامع الكلم نطق .
- تحيط بحروفه صدق النصيحة ، ونصيحة المشفق ، وإشفاق المخلص وإخلاص الداعية .

لا تنس الدعوة في الطريق والسوق :

- اجعل مسيرك في رضى الرحمن ، واقطع الطريق بالذكر والقرآن .
- غذّ قلبك بالإيمان ، واستماع الأشرطة من حديث وآيات وآداب .
- سر على بركة الله في تؤدة وهدوء ، وإياك والعجلة فإنها من الشيطان . كن قدوة في التزامك بقواعد المرور ، فإن فيها السلامة لك واحترام الآخرين .
- ادع إلى الله في كل حين ، وقدم التوجيه والشريط الدعوي هدية إلى المقصرين .

obeikandl.com

- كن على يقظة وانتباه ، واتق الله فإن شرود الذهن واللامبالاة بوابة الهلاك .
- اقض حاجتك من الأسواق في عجل ، واعلم بأنها شر البقاع إلى الله .
- سبح الرحمن تسبيحاً وكبره تكبيراً ، وكن نوراً يضيء السوق بالذكر والإيمان .
- لا تدعن منكراً إلا أنكرته ، ولا معروفاً إلا أسديته ، بالحكمة والموعظة الحسنة .
- إياك ثم إياك وإطلاق النظر في النساء ، واتق الله وغض الطرف فإنك بذلك مأمور ، وعن الحرام منهي ومزجور .
- إماطة الأذى عن الطريق صدقة . فتصدق على نفسك .
- غض البصر وكف الأذى من حق الطريق . فأعط الطريق حقه .
- أفش السلام وشمت العاطس وتمثل بالخلق النبيل .
- كن آمراً بالمعروف وعن المنكر ناهياً ولفضائل الأعمال آتياً .
- أرشد الضال وانصح العاصي وساعد المحتاج .
- لتكن قافلة دعوية تعم بنفعها المجتمع .
- بالحلم والصبر والابتسامة تصل إلى قلوب الآخرين .
- تذكر أن الله معك في كل مكان ، فلا تخطون إلا إلى خير ، ليكتب ذلك في ميزان حسناتك .
- اجتنب نهي الرحمن: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٧] . وفي تجارتك يجب أن تكون داعية .
- **«من غشنا فليس منا»** ، فراقب الله يبارك لك في تجارتك .
- رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وسمحاً إذا اشترى .
- النصح لكل مسلم ضعه نصب عينيك .
- القناعة كنز لا يفنى ، وما عند الله خير وأبقى .

obeikandl.com

- الزكاة نماء لمالك ، والصدقة تزيد من أموالك .
- اطلب تجارتك بالكسب الحلال ، وإياك أن تتّجر بالحرام ، فأيما جسد نبت من سحت فالنار أولى به .
- لا تدعن أحداً بحاجة إلى التوجيه إلا وجهته بحكمة ممزوجة رحمة وأدباً .

الداعية الحي :

إنه الداعية المتحرك في كل صوب ، المتقن لدعوته في كل ثوب ، إن كان في بيته فنعم العائل والمربي ، فإن نزل الشارع وخالط الناس ، وسعهم بدعوته ، فإن ركب وسيلة مواصلات تناثرت بركات دعوته على من حوله من الركب ، إذا دخل مصلحة لم يخرج منها إلا بغنيمة دعوية ، نصيحة يسارّ بها موظفاً ، أو موعظة يسمعها لسافرة ، أو كلمة معروف يذكر بها من يقف معه في الطابور ، إنه المبارك في حلّه وترحاله ، كالغيث أينما وقع نفع :

فـــلا مُـــزنةً وَدَقَـــتْ ودْقَهـــا ولا أرضـــاً أبقلـــت أبقـــاهـــا

قلب عامر وعقل يثابر ، تقي حفي ، نقيّ أبيّ ، نفعه متعدّ ، وخيره عامّ ، يتجذر هداه في كلّ أرض أقام فيها ، تنداح جحافل وعظه كالسيل العرم ، تذهب بكل سدّ منيع جاثم على قلوب الغافلين ، إذا قالَ أسمع ، وإذا وعظ أخضع ، دؤوب الخطو ، بديهيّ التصرف ، إذا اعترضته العوائق نظر إليها شزَراً ، وقال: أقبِلي يا صعاب ، أو لا تكوني ، محمديّ الخُلق ، صدّيقي الإيمان ، عُمَريّ الشكيمة ، عثمانيّ الحياء ، علويّ الصلابة ، فَضلي العِبرة ، حنبلي الإمامة ، تيموي الثبات .

إنّ مظهره متناسق مع وظيفته السرمدية ، هندام نظيف ومتواضع ، وهيئة تقية ، وإخبات غير متكلف ، إذا رآه الخلق ذكروا الله تعالى .

وهو داعية متعالٍ على السفاسف ، إنه لا يساوم الباعة ، ويلحّ في خفض الأسعار ، ولا يأنف في إماطة الأذى عن الطريق ، يبتسم في وجوه الناس أجمعين ، ويحفظ حشمته من نزق الطائشين ، وسمود العابثين .

مستعدّ للدعوة في كلّ ميدان ، إذا فتّشت حقيبته وجدتها مليئة بالحلوى والكتيبات والهدايا الصغيرة غير المكلفة . يصطحب معه في سيره أشرطة الدعاة والخطباء والوعاظ ، بل

وأشرطة القرآن الكريم لمشاهير القراء . يحمل معه العطر والطيب دوماً . إنها أسلحة الداعية الحيّ .

يستخدم الحلوى في التعارف ، والكتيبات في التأليف والوعظ والإرشاد ، والهدايا مع كل دعوة لحضور محاضرة أو خطبة ، والأشرطة لتكون البديل عن شريط غناء أقنع صاحبه بهجره ، والطيب لإزالة حزازات النفوس ، وتوجس الخائفين من مظهر الدعاة .

فإذا ما رأيته أقبلَ بوجهه الضحوك ، وسلامه الرونق (ألفيت كل تميمة لا تنفع) لقد وقع القلب في شرَكَ هذا الداعية ، واشتبكت القلوب المؤمنة وائتلفت ، والتقت العيون والمقل ، فإذا أدْمُعُ الخوف من الله تتعرف على نفسها ، حتى إذا ما سكب ذلك الداعية الحيّ كلمات الودّ والمحبة في الله ، والتقت إرادة الله بالهداية ، أبصرتَ الهوى صريعاً في ساحته ، والقلب تتهاوى شهواته وغرائزه أمام هذا السيل الدافق من فيض الإيمان والتقى ، وكأنك بالشيطان رابض ثم ينادي بالويل والثبور: ويلي ويلي ، قد اختطفه فلان الصالح منّي .

يعتمد الداعية الحيّ على كل الإمكانيات المتاحة ، ويستغلّ الظروف لصالحه . لا يلعن الظلام ، ولكنه يشارك في إيقاد شمعة ، إذا قصرت به وسيلة نزل إلى التي دونها ، حتى لو لم يجد إلا لسانه أو الإشارة باليدين لاستعملها متوكلاً على الله الهادي إلى صراطٍ مستقيم .

إن الداعية الحيّ يترقّب الفرص ، ويسعى إليها ولا ينتظر مجيئها إليه ، يباغت المواقف ، ولا يكون هو ردّ فعل لها ، لا يترك فرصة لِما يسميه الناس الصدف أو الفجأة ، بل تراه بدهياً مستعدّاً لكل موقف بما يناسبه .

من سمات الداعية الحيّ : الجدّية ، حيث أنه يعمل في صمت ، ويؤثر العمل الدؤوب على الثرثرة والتفيّهق ، ليس بالمنان ولا بالمعجب ، شعاره بعد سماع الأمر من القادة: عُلِمَ وسينفذ إن شاء الله ، وإذا سُئِلَ عن تكليف أُنيط به ، قال: التنفيذ جارٍ بعون الله ، فإذا أتَمَّ مهامّه ، أبلغ المسؤول في صمت : تَمّ التنفيذ والحمد لله . . إنها الجندية في أرقى صورها .

إن الداعية الحيّ متحرك لدينه ، سواء كان مدرساً أو طالباً ، مهندساً أو طبيباً ، عالِماً أو متعلماً ، سائقاً أو راكباً ، حالاً أو مرتحلاً ، أميراً أو مأموراً ، رئيساً أو مرؤوساً ، زوجاً كان أو عزباً ، فقيراً كان أو غنياً ، صحيحاً كان أو سقيماً ، مبصراً كان أو أعمى ، سليم الأعضاء أو

معوقاً ، في الشارع أو في البيت أو في الجامعة أو في المدرسة أو في الدكان أو في الحافلة أو في الشارع أو في أي مصلحة حكومية ، بلسانه ويده ، بنفسه وماله ، بكلّه يتحرك للدين وينافح عنه ، لسان حاله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] ، وشعاره: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وكما قال الشيخ سلمان العودة :

وحتى نقيم حجة الله عليهم وننذرهم ، لابد من اتباع الوسائل لإقامة الدعوة بالسبل المتاحة وخاصة في الدول الغربية والقرى النائية ، ومن هذه الوسائل على سبيل المثال لا الحصر:

الدعوة بالكلمة الهادفة ، سواء كانت تلك الكلمة محاضرة أو درساً أو خطبة أو موعظة أو نصيحة شخصية بينك وبين الذي تدعوه ، خاصة في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث لا تنصح أحداً أمام الناس وصدق القائل كما قلت من قبل:جنبني الفضيحة عند النصيحة .

فالنصيحة يجب أن تكون بأسلوب سمح ولطيف .

الدعوة بالشريط وذلك يكون مع الذين لا يحبون القراءة ، وذلك باختيار الموضوع المناسب لمن تعلق بالدنيا ونسي الآخرة ، فنهديه شريطاً يذكره بالآخرة والموت والعقاب ، وكذلك يكون بنشر الكتيبات الكثيرة والمطويات وغيرها .

وأحب أن أضيف كما سألت فضيلة الشيخ الدكتور/ سيد السيلي حفظه الله ، عندما سألت فضيلته عن موضوع الدعوة في البلاد الغربية فأجاب: بأنه على كل مسلم داعٍ إلى الله غيره من المسلمين بأن يحاول تبليغ دعوة الله في الأرض ، كما أمر الله عز وجل ، وكذا كما أمر النبي ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...**»[1] .

وذلك لمن لم تبلغهم الدعوة ولو بأسلوب بسيط ، حتى نحببهم ونعرفهم بمبادئ وأصول هذا الدين العظيم وأنه خاتم وناسخ الأديان ، فلا يقبل الله من عبد سوى هذا الدين: ﴿ إِنَّ

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء٣٢٠٢ .

﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] .

وكذا حكم وجود المسلمين في بلاد الغرب ، لابد أن يقوموا بتبليغ الدعوة إلى دين الله عز وجل إلى مَن لم تبلغهم ، ولا يجعلون وجودهم في هذه البلاد مجرد حب في الدنيا أو محبة في السكن مع الذين ظلموا أنفسهم .

وكذلك كما تفضل العلماء الأفاضل ألا يكون سبب وجود المسلمين في بلاد الغرب للتكسب وطلباً للرزق فقط ، فإن هذا فيه كراهة ، والله أعلم .

* * * * *

obeikandl.com

المبحث الرابع
لماذا نصيد القلوب... ؟

نصيد القلوب : تقرباً إلى الله عز وجل بدعوة الناس وتعليمهم والنفع لهم . . ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

نصيد القلوب : حتى يكون لنا نصيب مما قام به الأنبياء والمرسلون . ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

نصيد القلوب: امتثالاً لأمر الله عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

نصيد القلوب : رغبة في الأجر : «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[(١)] نصيد القلوب لنصلح أعمالنا وتغفر زلاتنا . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

نصيد القلوب : رجاء صلاح الذرية : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء: ٩] .

نصيد القلوب : مخافة العذاب : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧] .

نصيد القلوب : حتى لا يكثر الشر والفساد . . . قالت زينب رضي الله عنها للنبي ﷺ : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : «**نعم إذا كثر الخبث**»[(٢)] .

نصيد القلوب : حتى نثقل موازين حسناتنا يوم العرض على الله عز وجل : «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[(٣)] .

نصيد القلوب : حتى لا تصيبنا اللعنة : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه مسلم .

نصيد القلوب : شفقة ورحمة : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٤] .

نصيد القلوب : حتى نقطع الطريق على أهل الفسق والفجور فهم يعملون ويكيدون: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧] .

نصيد القلوب : حتى يصلح حال المجتمع ويكون لأمة الإسلام العز والتمكين: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٤١] .

نصيد القلوب : حتى تفتح أبوابها وتخرج خبثها فتكون مهيأة لسماع الموعظة والنصيحة ، محبة للخير كارهة للشر[1] .

إحدى عشرة قاعدة لصيد القلوب:

ثلاث في المدعو .

أربع في الداعي .

وأربع في الوسيلة

١ - في المدعو:

القاعدة الأولى:

ضرورة مراعاة المرحلة العمرية للمدعو: وهذه نقطة هامة نغفل عنها كثيراً ، فتجد طريقتنا في الدعوة متشابهةً ، لا تراعي من المتحدث إليه ، وأخطر هذه المراحل العمرية مرحلة المراهقة - وهي مرحلة المدعو الذي ذكرته يا أخي في استشارتك - وهذه المرحلة بالذات تحتاج لمن يتعامل معها إلى دقةٍ وحرصٍ شديدين ، لأن من أبرز سماتها التقلب وعدم الثبات ، والإحساس بالذات ، ومن يغفل ذلك ممن يتعامل مع المراهقين فلن يصل إلى شيء ، فإذا كنت أخي الداعية ممن تتعامل مع هذه المرحلة ، فعليك أن تراعي ذلك بشدة ، فتترك للمدعو فرصة التعبير عن الذات ، وتفتح له مجال الإدلاء برأيه ، وإياك ثم إياك أن تستخف

(١) صائد القلوب للشيخ/ عبد الملك القاسم .

بهذا الرأي مهما كان سخيفاً وساذجاً، فإنك إن فعلت ذلك أغلقت باب قلبه نحوك، وأضعت المفاتيح، ولن ينفعك شيء بعد ذلك، وليكن الرسول ﷺ قدوتنا في ذلك في الحديث الشهير اللطيف «**أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْر؟**»، فيما روى مسلم وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير قال: أحسبه قال كان فطيماً قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «**أبا عمير ما فعل النغير؟**» قال فكان يلعب به) فانظر كيف تعامل ﷺ مع أبي عمير هذا الشاب اليافع الصغير، كان دائماً يتودد إليه بسؤاله هذا، والنغير تصغير لنغر وهو طائر، ولعلنا نلمح من صيغة السؤال كيف ترك ﷺ باباً لأبي عمير كي يقول رأيه، وفي هذا مجالٌ لأبي عمير ليعبر عن نفسه ويحقق كيانه، فعلينا نحن الدعاة مراعاة هذه المرحلة العمرية بدقة، ويجب أن نترك أسلوب الإلقاء والإملاء، ونتعامل بطريقة الحوار والمناقشة، أن نستمع إلى رأيهم، أن نفتح لهم باب التعبير عن الرأي وعن الذات، أن نحقق لهم رجولتهم التي بدءوا يحسون بها، وعندها سيسلموننا مفاتيح قلوبهم التي لن تضيع هذه المرة أبداً.

القاعدة الثانية:

ضرورة مراعاة المستوى التعليمي والثقافي للمدعو: ولنا في حديث "أبي عمير والنغير" دليل آخر، فلم يحدثه النبي ﷺ في أول حديثه إليه بقواعد الدين، ومقاصده ومستلزماته، بل بدأ معه بالخطاب الذي يناسب مستواه، ليتقرب منه وليوجد وسائل التواصل والاتصال بينه وبينه، ولذلك فالدعاة مطلوب منهم مراعاة ذلك حتى يصل خطابهم إلى المكان الصحيح والمؤثر والمفيد، ولعل من الطرف التي تروى في ذلك ما حدث مع أحد الدعاة في مصر، حين أراد دعوة مجموعة من الرجال المعروفين بالشدة والقوة (الفتوات)، فلم يحدثهم عن ضرورة العمل للإسلام، وعن المجتمع المسلم والخلافة الإسلامية وما إلى ذلك، وإنما حدثهم عن قوة النبي ﷺ وشجاعته، وأخذ يسرد لهم القصص في ذلك، فما كان من أحد المدعوين إلا أن قال بعفوية شديدة: "اللهم صل على أجدع نبي" - أي على أشجع وأقوى نبي - بهذه الطريقة وصلت إليهم الرسالة واضحة جلية، ثم يبدأ الداعي بعد ذلك في البناء عليها.

القاعدة الثالثة:

ضرورة البحث عن العوائق: فلكل الناس ما يشغلهم ويهمهم، وإن لم يراع الدعاة

ذلك فلن يصلوا لشيء ، وينبغي أن يجعل الدعاة ذلك من أساسيات واجبهم ، أن يتحسسوا أحوال المدعوين ، أن يحاولوا معرفة مشاكلهم ومشاغلهم ، أن يكونوا صورة واضحة عن ظروفهم وأحوالهم ، وإن تسنى لهم مساعدتهم في أمرٍ من ذلك فليقدموا ، فإن ذلك أحرى بأن يصلوا إلى قلوب المدعوين ، وبالتالي التأثير فيها .

في الداعي :

القاعدة الأولى :

ضرورة البدء بالنفس: يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله: "إذا صلح قلب العبد للحق عز وجل وتمكن من قربه ، أُعْطِي المملكة والسلطنة في أقطار الأرض ، وسُلِّم إليه نشر الدعوة في الخلق ، والصبر على أذاهم ، يسلَّم إليه تغيير الباطل وإظهار الحق" .

كما يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى: "إن الموعظة إن لم تتأد في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه ، وإنه لا يغير النفس إلا النفس التي فيها قوة التحويل والتغيير ، كنفوس الأنبياء ومن كان في طريقة روحهم ، وإن هذه الصناعة إنما هي وضع البصيرة في الكلام ، لا وضع القياس والحجة" .

ويؤكد ذلك الأستاذ عبد الوهاب عزام رحمه الله تعالى فيقول: "ولا ينطق بكلمة الحق الخالدة إلا عقل مدرك ، وقلب سليم . . إلا قائل يعتد بنفسه ويثق برأيه ، فيرسل الكلام أمثالاً سائرة ، وبيناتٍ في الحياة باقية ، لا يصف وقتاً محدوداً ، ولا إنساناً فرداً ، ولا حدثاً واحداً ، ولكنه يعمّ الأجيال والأعصار ، والبلدان والأقطار" ، ولن يصل حديثك في قلوب المدعوين إلا بدرجة وصوله إلى قلبك ، كما يقول التابعي شهر بن حوشب: "إذا حدَّث الرجلُ القومَ ، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه" .

هذه هي القضية باختصار ، أن تحسن صلتك بربك ، أن تقتنع أنت بفكرتك أولاً ، أن تكون في نفسك قوة التحويل والتغيير ، أن تثق بها لدرجة أن تعتد بنفسك وبرأيك ، فتخرج كلماتك من قلبٍ متصلٍ بخالقه ، ونفسٍ فيها قوة التحويل والتغيير ، وفكرٍ كله اقتناعٌ وثقةٌ ، فتُسَلَّم المملكة والسلطنة ، ويعمّ خطابك البلدان والأقطار .

القاعدة الثانية:

القدوة: وقد تحدثنا عنها غير مرة، ونعيد الحديث فيها لأهميتها وعِظم دورها، فهي حقاً كما يقول الرافعي رحمه الله: "الأسوة وحدها هي علم الحياة" والدعوة هي الحياة، فالأسوة وحدها هي علم الدعوة، وعلم الدعوة كله هو الأسوة الحسنة، وهذا ما فهمه أسلافنا، فقال الإمام الشافعي رحمه الله: "من وعظ أخاه بفعله كان هادياً"، وكان عبد الواحد بن زياد يقول: "ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء يكون أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم منه"، و"إن العالِم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا" أي قطرة الندى عن الصخرة الملساء، كما يقول مالك بن دينار رحمه الله تعالى.

فانتبه أخي الداعية، فالقدوة مركز حساس خطير، و"إنك إمامٌ منظورٌ إليك" كما قال إمام المدينة يحيى بن سعيد الأنصاري من قبل، ونقول لك اليوم: "إنك داعيةٌ منظورٌ إليك".

القاعدة الثالثة:

العلاقة الشخصية: كثيراً ما نغفل أثناء ممارستنا للدعوة عن تكوين علاقةٍ شخصيةٍ حقيقيةٍ مع المدعو، ولست أعني هنا مجرد وجود العلاقة، وإنما أعني العلاقة الشخصية الحقيقية، التي تنبني أول ما تنبني على المعنى الإنساني الخالص، أن أوجد بيني وبين من أدعوه جسراً من المودة والحب، خيطاً من الاتصال ليس من ورائه غرض، حتى ولو كان هذا الغرض هو الدعوة، وحتى لا يساء فهم كلامي، فلست أعني هنا أن تكوين علاقةٍ مع المدعو بغرض الدعوة أمر سيئ، لا أبداً، إنما ما أقصده تحديداً هو استغراقنا أحياناً كثيرةً في التفكير في تكوين علاقةٍ مع المدعو بهدف الدعوة، فننسى العلاقة الطبيعية، فتجدنا نتصرف دون أن نشعر بطريقةٍ غير مناسبة أو لائقة، فمثلاً لو استجاب المدعو إلينا، وتقدم معنا في البرنامج الدعوي، فإننا نقلل دون أن نشعر من اهتمامنا به، ونوجه هذا الاهتمام إلى مدعو جديد، بحجة أنه أصبح على الدرب، وكذلك لو وجدنا تقدماً بطيئاً من مدعو آخر، فإننا نقلل من اهتمامنا به لنوجه الاهتمام إلى غيره، وهذا الأمر في الحالتين يؤثر في نفس الشخص المدعو، فلنتذكر دائماً أن العلاقة الشخصية الإنسانية هي الأساس.

القاعدة الرابعة:

التجدد: من أكثر ما يعيق المرء في عمله الدعوى التقليدية والنمطية، فيفقد هو المتعة، ولا يجد المدعو نحوه بريقاً أو جاذبية، فلينتبه الدعاة لذلك، وليبحثوا دائماً عن الجديد، في الثقافة والمعلومة، في الوسيلة والطريقة، في المكان والتوقيت، المهم أن يجد المدعو شيئاً يجذبه إليه، ويشوقه للقائه، ولو تخيلنا أننا أمام جهاز تلفاز يعرض أموراً جديدة باستمرار، لوجدنا أنفسنا تنساق إليه دونما وعي بل برغبةٍ وحبٍّ، فليكن الداعية جهاز عرض الخير، ومعرض الإفادة والمتعة والتشويق.

في الوسيلة:

القاعدة الأولى:

استخدم لغة القلوب: يقول الشيخ الكيلاني واصفاً الدعاة: "هم قيام في مقام الدعوة، يدعون الخلق إلى معرفة الحق عز وجل، لا يزالون يدعون القلوب"، نعم هم يدعون القلوب والأرواح لا الأجساد والأبدان، احرص أخي الداعية على ذلك، آمن أنت بفكرتك أولاً، ورسخها في قلبك، ثم اجعل قلبك يخاطب قلوب الخلق، وبهذا تفتح باباً للخير واسعاً.

القاعدة الثانية:

تلطّف: وهي قاعدة ذهبية في جذب الناس والتأثير فيهم، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهذا ما تعلمه ﷺ من ربه جل وعلا، فتراه هيناً ليناً رحيماً ﷺ، والأحاديث في هذا كثيرة، كحديث الأعرابي الذي بال في المسجد، فقال النبي ﷺ: «**لا تزرموه**» ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه رواه البخاري ومسلم، وكحديث "أبي عمير والنغير" والذي نستشف منه كيف كان ﷺ يتلطف مع أصحابه، فتلطف أخي الداعية - يرحمك الله - حتى لا ينفض الناس من حولك، وإياك ثم إياك أن تشعر المدعو أنك عبءٌ عليه، أو ضيفٌ ثقيل الظل، أو تحمله مشقة التعامل معك، فلا تطرح نفسك أمامه بسببٍ وبدون سبب، ولا تتدخل في علاقته بأصدقائه ما دام هو لم يستشرك فيها، كن رجلاً رقيقاً لطيفاً، تستخرج كلاماً من بحرٍ عميقٍ بالإيمان والحب والعلم، وتنطقه بلسانٍ رفيق هين، كما وصف يحيى بن معاذ رحمه الله

أساليب الدعوة فقال: "أحسن شيء - أي في الدعوة - كلام رقيق، يُستخرَج من بحرٍ عميق، على لسان رجلٍ رفيق".

القاعدة الثالثة:

حدِّث الناس بما يريدون: دعني هنا أضرب لك مثلاً لأوضح ما أقصد: أنا أحب أكل الأرز ولا أحب أكل الديدان.. وأريد اصطياد السمك، فهل أضع للسمك الأرز أم الديدان؟ هل وضحت الفكرة؟ تريد اصطياد السمك ضع له ما يحبه هو لا ما تحبه أنت، فإنني إن وضعتُ للسمك الأرز الذي أُحبُّه فلن أصطاد سمكة واحدة، ولكن إن وضعتُ لهم الديدان التي لا آكلها، فسيأتيني السمك من كل حدب وصوب.

فخاطب الناس أخي الداعية بما يحبون لا بما تحب أنت، بما في عقولهم لا بما في رأسك، وليس معنى هذا أن تترك مهمتك العليا أو أن تتنازل عنها، ولكن كن حصيفاً لبيباً، تصل إلى ما تريد من خلال ما يحبون ويرغبون، كما فعل نبيك ﷺ في الحديث المعاد ذكره هنا؛ حديث "أبي عمير والنغير" حين خاطب أبا عمير فيما يحب ويرغب، تأليفاً لقلبه وإشعاراً له بأنه ﷺ مهتمٌّ بما يهتم به هذا الفتى الصغير مهما بدت اهتماماته صغيرةً أو تافهةً، فافعل ذلك أخي الداعية تختصر الطريق وتنال المراد.

القاعدة الرابعة:

راعِ الأولويات: على الداعية أن يراعي الأولويات في دعوته، فليس من الطبيعي أن أبدأ في بناء الدور الخامس مثلاً دون أن أبني أساس البناية، كما أنه ليس من المعقول أو المقبول أن أحدث غير المسلم في وجوب الصلاة والصيام عليه! إننا - في ظل انشغالنا بالدعوة - كثيراً ما ننسى هذه الأمور رغم بساطتها وبداهيتها، فعلى الداعية أن يحدد أولوياته في دعوة كل إنسانٍ على حدة، ما هي الأمور الأساسية التي لا بد منها، ولا يمكن التنازل عنها، ثم يبدأ في التدرج معه خطوةً خطوة، فغير المسلم أبدأ معه بالإيمان بالله، والمسلم العاصي أبدأ معه بالطاعات المفروضة، والمسلم الملتزم بالفرائض أبدأ معه في النوافل والفضائل، وهكذا كلٌّ حسب مستواه من الالتزام والإيمان.

* * * * *

obeikandl.com

المبحث الخامس
الحلم يا معشر الدعاة

فلقد جاءت شريعة الإسلام بمنهج واف للحياة يلم شعثها ويصلح ما فسد منها ويقوم ما اعوج من سبلها فلا يوجد خير إلا ودل الإسلام عليه ولا يوجد شر إلا وحذر الإسلام منه فلله الحمد والشكر على ما امتن به على عباده .

وإن من جوانب الحياة المهمة التي شملها هذا الدين العظيم وحرص على تقويتها جانب مهم ألا وهو جانب الأخلاق ، فلقد جاء نبينا متمماً لصالح الأخلاق " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " .

ولقد تظاهرت النصوص الشرعية الدالة على أهمية الأخلاق وأن الخلق محصلة من محصلات التدين ومن لم يكن ذا دين فلن ينفعه خلقه عند الله عز وجل شيئاً يقول الله عز وجل واصفاً نبينا محمدا ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية (لعلى دين عظيم ، لا دين أحب إلي ، ولا أرضى عندي منه ، وهو دين الإسلام) ، وفي الصحيحين أن هشام بن حكيم سأل عائشة رضي الله عنهما عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : كان خُلُقه القرآن[1] .

نعم خلقه القرآن ، فهو إذاً خلق تدين وعبادة وخشوع وإخبات لله رب العالمين محركه حب الله ووقوده طاعة الله وماء حياته الرصيد الهائل من التقرب إلى الله والاعتصام بحبله المتين وصراطه المستبين ، وهو خلق ينبع من القرآن عنه يصدر وإليه يأرز ورايته المرفوعة وعلامته الموسومة الاحتساب وابتغاء ما عند الله عز وجل والدار الآخرة .

وإن من الأخلاق العظيمة التي حث الشرع المطهر عليها خلق الحلم ، والحلم بالكسر معناه كما قال صاحب القاموس المحيط هو " الأناة والعقل" وجمعه أحلام وحلوم ومنه الرجل الحليم والحليم يجمع على حلماء وأحلام .

وأما معناه الاصطلاحي فهو : ضبط النفس عند الغضب ، وكفها عن مقابلة الإساءة بمثلها وإلزام هذه النفس حال غضبها بحكم الإسلام .

---

(١) صحيح الجامع برقم٤٦٨٧ المجلد٣ - ٤ .

لقد أثنى نبينا ﷺ على أشج عبد القيس بقوله : «**إن فيك خلتين يحبهما الله**» . قلت : وما هما يارسول الله ؟ قال : «**الحلم والأناة**.....»[1] الله أكبر الحلم من الخصال التي يحبها الله فهل استشعرنا هذا المعنى حال هجوم سورة الغضب علينا ؟ هل نستشعر أن هذه الخلة من محبوبات الله عز وجل فيحملنا ذلك الشعور على الصبر الجميل والحلم العظيم ونحن نقول بلسان الحال والمقال : " سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" .

وصف شريف ورداء نظيف يلبسه الله لمن يشاء من أوليائه الذين لا يرتدونه إلا احتساباً ولا يرتدونه رياءً وسمعة وخيلاءً ، فهذا نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام استحق وصف الحليم: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود: ٧٥] ، ولقد بعث الله له من ذريته غلاماً حليماً ونبياً كريماً إنه إسماعيل عليه السلام : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات: ١٠١] ، ونبينا محمد ﷺ سيد الحنفاء والحلماء قال عنه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] ، وقد قال الله عز وجل موصيا نبيه عليه الصلاة والسلام ومربياً الأمة على هذا الخلق: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، ويقول سبحانه مثنياً على أصحاب هذا الخلق النبيل: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] .

إنها معالم نورانية للسالكين وبراهين ربانية لشحذ همم السائرين ترشدهم إلى الخلق الذي يستوعبون به الناس لينقلوهم من ضيق النفوس إلى سعة القلوب والصدور ، وإن من أحوج الناس لتلمس تلك الدلالات والمعاني الذين يتصدون لدعوة الناس " فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " والنبي ﷺ خالط الناس في دعوته بالاحتساب والصبر والحلم والأناة ولم يخالطهم بالفظاظة والغلظة والقسوة والغضب وصدق الله: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وحياته ﷺ وسيرته العطرة دليل الصدق على سمو نفسه عليه الصلاة والسلام فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ،

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد .

فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم أمر له بعطاء"[1] موقف رهيب، وحلم عجيب، وبهاء وروعة، وسمو وتواضع، وحنو مصدره إيمان وحلم يزين جبين الرحمة المهداة والمنة المسداة لهذه البشرية الحائرة التي كانت قبل محمد ﷺ لا تعرف ما معنى الرحمة ولا ما معنى الخلق. بالله عليكم يا أحبابنا لو كانت هذه المعاني مستحضرة في واقعنا وواقع تعاملنا مع عباد الله عز وجل كيف سيكون حال دعوتنا؟ كيف لو استحضر المعلم هذا المعنى مع طلابه ورواد درسه؟ وكيف لو استحضرت المعلمة ذلك مع طالباتها؟ وكيف لو تأمل الداعية والمربي والشيخ والعالم في هذا الموقف من النبي ﷺ وتمثله أصحاب الرسالات والدعوات في حياتهم، كيف سيكون حال الناس؟إن الشعور النبوي الكريم والشفقة على الخلق قد فاضت حتى انطبعت في قلوب أتباعه وأصحابه حباً وتضحية يفوق وصف الواصفين وقبولاً ما له نظير وكيف لا يكون الأمر كذلك وهو الرحمة التي أنقذ الله بها البشرية من غول التيه والحيرة.

يا معشر الدعاة يا معشر المربين يا معشر العلماء والفضلاء والنبلاء الحلم الحلم فإنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فلتسعوهم بأخلاقكم[2]، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: **«اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»**[3].

فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك ولا تشقّ على الناس ولا تنفرهم من الدين بغلظتك وجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليماً صبوراً، سلس القياد، لين الكلام، طيب الكلام؛ حتى تؤثر في قلب أخيك المسلم، وحتى تؤثر في قلب المدعو ويأنس لدعوتك ويتأثر بها ويثني عليها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب ومفرق لا جامع.

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس.
(٢) صائد القلوب للشيخ/ عبد الملك القاسم.
(٣) صحيح مسلم كتاب الإمارة ٣٤٠٧.

ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي - بل يجب - أن يكون عليها الداعية:

العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينه عن شيء ثم يرتكبه؛ هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك.

قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[البقرة: ٤٤].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الصف: ٢].

ولله در القائل:

لا تنه عن خلق وتأت مثله ::: عيب عليك إن فعلت عظيم

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقطاب بطنه**[١] **فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى**[٢] **فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنه عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**»[٣]، هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم خالف فعله قوله وقوله فعله نعوذ بالله من ذلك.

والواجب على الداعي إلى الله أن يدعو إلى الله ويرحم الناس ويكون دعاؤه بالهداية والتوفيق والقبول وكذلك الصبر على الأذى، قال النبي ﷺ لما قيل عن دَوْس: إنهم عصوا، قال: «**اللهم اهد دوسا واهد بهم**».

هكذا كانت أخلاق النبي ﷺ في الدعوة؛ بالدعاء بالهداية والتوفيق وقول الحق والصبر والمصابرة في ذلك.

* * * * *

(١) أمعاؤه وأحشاؤه.

(٢) آلة تطحن الحبوب.

(٣) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ٥٣٠٥.

المبحث السادس
فن العتاب وفقه الخطاب

هناك ألوان كثيرة وفنون شتى للتحاور والتفاهم بين الناس، كما قال تعالى لموسى وهارون في مخاطبة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]. فاللين وسيلة من وسائل الخطاب بين الناس للوصول إلى الهدف المنشود من الإقناع وغيره من مقاصد التحاور.

وهناك الشدة ورغم كونها على النقيض من اللين إلا أن لها مواضع لا بد منها، ولها ثمار ليست بمعزل عنها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم: ٩].

وقال الشاعر[1]:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ ... وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا

ووَضعُ النَدى في مَوضِعِ السَيفِ بالعُلا ... مُضِرٌّ كوَضعِ السَيفِ في مَوضِعِ النَدى

وهناك العتاب وهو فنٌّ ولونٌ من ألوان الخطاب يختص بالمتحابين وأصحاب العلاقات المترابطة والوشائج القوية، وقد يكون من الخطورة بمكان إن لم يُستخدم على الوجه الأمثل، ويُوضع في موضعه اللائق به.

ولقد تعلم النبي ﷺ من ربه - تبارك وتعالى - فقه العتاب حيث كان القرآن ينزل بالعتاب من الله - تبارك وتعالى - لخليله ومصطفاه سيد البشر ﷺ ليوجهه إلى الأمثل والأوفق والأرفق والأحسن من السياسات والقرارات، عندما يفعل النبي ﷺ ما يكون خلاف الأولى.

فمن ذلك أن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وقد أسلم قديمًا جاء إلى النبي ﷺ وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم.

فقال عبد الله: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك مرارًا وألح عليه

---

(١) المتنبي ٣٠٣ - ٣٥٤هـ أبو الطيب الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب العربي.

وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك؛ ليتمكن من مخاطبة الرهط طمعًا ورغبة في هدايتهم، وعبد الله لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس: ١ - ١٠]، فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه: «**مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي**»[(١)].

قال العلماء: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالمًا بأن النبي ﷺ مشغولٌ بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله - تبارك وتعالى - عاتبه؛ حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء والمساكين؛ وما فعله النبي ﷺ كان نوعًا من المصلحة؛ لأنه بإسلام هؤلاء القوم تُسلم القبيلة كلها، إلا أن الله - تبارك وتعالى - وجهه إلى الأولى والأحسن وهو أن النظر إلى المؤمن وإن كان فقيرًا أصلح وأولى من الإقبال على الأغنياء طمعًا في إيمانهم.

فانظر إلى العتاب الرقيق في قوله تبارك وتعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس: ١]، بضمير الغيبة، تعظيمًا وإجلالاً له ﷺ ولم يقل: عبست وتوليت بلفظ المخاطب، لإيهام أن من صدر عنه هذا الفعل ليس هو ﷺ، والسامع لهذه الآيات للمرة الأولى لا يعلم من هو المقصود بها، وإن علم فليس في الأسلوب شدة أو نقمة إنما توجيه للأحسن والأصوب، كما أن في التعبير بضمير المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ [عبس: ٣]، الإيناس بعد الإيحاش، والإقبال بعد توهم الإعراض.

وهكذا يكون العتاب الرقيق باستخدم الألفاظ الرقيقة التي لا تؤثر سلبًا على نفس سامعها بحيث ينسى أنه عتاب ويتحول إلى مُدافعٍ ومجادلٍ عن موقفه لِيُثْبِتُ أنه على صواب، ولا يؤتي العتاب - في تلك الحالة - ثمرته المرجوة.

ومن ذلك أيضًا عن ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قال: لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى فِي بدر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا تَرَى يَا بْنَ الْخَطَّابِ قُلْتُ لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى

(١) تفسير القرطبي.

أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ [1] ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧] .

فالنبي ﷺ فى هذا الموقف آثر السلامة ، وهو رأي كثير من أصحابه ، ولكن الله - تبارك وتعالى - أرشده إلى الأولى من ذلك وهو الشدة فى هذا الموقف ؛ لأن هؤلاء هم صناديد الكفر وكبار أهل الضلال ، فالأولى معهم القتل والتنكيل بدلاً من العفو والصفح خاصة والدعوة في بداياتها وتحتاج إلى أن تظهر بمظهر القوة بين قبائل العرب ، وكان هذا هدفًا لا يعدله المال ، ولذا سُمي هذا اليوم بيوم الفرقان لعظمته فى تاريخ الدعوة .

فعاتبه الله بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ [الأنفال: ٦٧] فالخطاب ليس موجهًا مباشرة إلى رسولنا ﷺ ولكنَّ المعنى: لا يحق لأي نبي مهما كان أن يكون فى هذا الموقف وعنده أئمة الكفر الذين حاربوه وأخرجوه ومكروا به وأرادوا قتله أن يعفو عنهم .

وهكذا يكون العتاب الرقيق الذى لا يوجه مباشرة إلى الملوم ؛ حتى لا يتشاغل بالدفاع عن نفسه ، وينسى فى ظل الجو شديد السخونة أن يتعلم ويفهم المراد من التوجيهات السديدة ، والنصائح الرشيدة ، ويفهم عن اقتناع ورضا نفس أن الأولى هو فعل ما يرشد إليه العاتب .

ولقد تعلم النبي ﷺ أيضًا فقه العتاب وفنه من أحاديث ومواقف الأنبياء التي قصها الله تبارك وتعالى عليه ، وأعلمه بها فمن ذلك ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ**

(١) رواه مسلم .

إِلَيْهِ فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً»[1].

عاتب الله تبارك وتعالى هذا النبي الذي يقال: إنه العُزَيْر، بأنه قتل جماعة النمل لأنه لُدغ من واحدة فقط، فاستدعى الله انتباهه وقال لـه: (فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً).

والناظر لقولـه تعالى: (فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً) يجد أنها لطيفة موجهة لما هو أرفق بهذا النبي؛ حيث إن الموقـف لا يـستدعي الـشدة فالخطـب يسير، وأمة النمل مهما بلغت لا تملك من أمرها شيئًا.

وعلـى هـذا المـنوال مـن الأدب الجـم والفقـه العمـيق لفن العتاب تعامل النبى ﷺ مع أصحابه فى المواقف التى تحتاج إلى ذلك، وتوجيههم إلى ما هو أصلح وأولى فكان ﷺ بذلك يهـذب أصحابه ولا يلجئهم إلى الدفاع عن أنفسهم بل يلفت انتباههم إلى العبرة والعظة من العتاب.

ولقـد حـرص ﷺ أن تكون الصيغ والكلمات معبرة وموحية بالحب والعطف والشفقة على محدثه؛ لتنفذ هذه النصائح والكلمات إلى قلبه فيتأثر بها ويعمل بمقتضاها.

فمـن ذلك ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَـا [بعـد غـزوة حنين] فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَـوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَـرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلاَّ امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ» قَـالَ: فَخَـرَجَ سَـعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُـوا وَجَـاءَ آخَـرُونَ فَـرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْـصَارِ قَـالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لـه أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْـشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ

(١) رواه البخاري ٣٣١٩، مسلم ٢٢٤١، أبو داود ٢٥٦٥، النسائي ٤٣٥٨، ابن ماجة ٣٢٢٥.

وَعَالَـةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ: «أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ» قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقْنَا.

في هذا الموقف المؤثر كان النبي ﷺ يستطيع أن يقول: أنا رسول الله؛ ويجب عليكم طاعتي فاسمعوا وأطيعوا، ولكنه ﷺ لم يفعل بل هذبهم بعتابه الرقيق الذي ما سمعه أحد من أهل القلوب الرقيقة إلا بكى مع بكاء الأنصار، وفهم العبرة والعظة المستهدفة في جو هادئ لهذا المقام، وهي أنه ترك الأنصار لإيمانهم وتقواهم، وتألف أناسًا سوف يكونون بعد ذلك حماة الإسلام وحصنه.

وأرسل ﷺ يومًا أحد صحابته عاملاً على الصدقة فجاء حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي لي، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن صعد المنبر عشية بعد الصلاة وقال: «أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَهَلاَّ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لا....»[1].

ورأى رجلاً آخر يغتسل فى مكان فسيح بلا إزار، ولا يستتر عن أعين الناس فصعد ﷺ المنبر وقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ؛ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»[2].

وغيرها من المواقف التى تدل على أن النبي ﷺ لا يُعَرِّضُ باسم أحد من صحابته بل

---

(١) رواه البخاري ٦٦٣٦، مسلم ١٨٣٢، أبو داود ٢٩٤٦.

(٢) رواه أبو داود ٤٠١٢، النسائي ٤٠٦، صحيح الجامع ١٧٥٦.

يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا**» ، «**إذا فعل أحدكم كذا**» يعاتبهم بأسلوب مهذب رقيق ليس فيه تجريح للمشاعر ولا غض من قيمة الشخص الذي اقترف خطأ ، فكان ﷺ مثلاً حيًا للصحابة فى فقه التعامل مع الناس . بل كان يتعامل مع أهله - أعني زوجاته - بهذا الفقه فمن ذلك ما قصه ربنا تبارك وتعالى فى سورة التحريم حيث قال: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التحريم: ٣] .

أي أن النبي ﷺ استكتم حفصة سرًا بتحريم العسل على نفسه (وأن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي)[1] ؛ فذكرته حفصة لعائشة فأظهره الله عليه ، فعرف بعضه وأعرض عن بعض .

أي: قال لها: إن الله أوحى إليَّ ما أفْشَيْتِ من السر فى تحريم العسل ، وأنك أخبرت عائشة بذلك ، وأعرض عن قوله: (إن أباك وأباها يكونان خليفتي على أمتي من بعدي) .

وهذا التغاضي عن كثير من أخطاء الأحبة والمقربين من شيم الكرام الأخيار الذين لا يلومون أحبابهم على كل ما يفعلون أو يأتون من أخطاء ولكن يكفي التعريض ببعضها والكف عن البعض الآخر .

ويُعَدُّ هذا من قمة فقه العتاب وفنه بمكان ، لا يصل إليه إلا من تأدب بآداب القرآن وتعلم من النبي العدنان ﷺ .

قال الحسن: ما استقصى كريم قط .

وقال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام .

وعلى هذا يجب علينا أن نتعلم من النبي ﷺ الأساليب اللطيفة فى العتاب والمحاورة الرقيقة التي تجعل المعاتَب لا يخرج عن حب معاتبه ، ولا يجنح إلى الإعراض عنه بل يسمع ويطيع لأن معاتبه لا يبغي إلا صلاحه وكماله سواء فى الفعل أو القول .

أما إذا تخطى الأمر الحدود ، وتعدى الحرمات فهنا يقف النبي ﷺ زاجرًا آمرًا ناهيًا

---

(١) رواه الدارقطني في سننه عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

بشدة، ولا مجال للعتاب فى هذه اللحظة إلا الزجر والهجر، فعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِزَيْنَبَ: « أَعْطِيهَا بَعِيرًا» فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ[1].

وما قاله ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة حين أرد أن يشفع فى المرأة المخزومية التى سرقت ويريد زيد أن لا تقطع يدها فغضب ﷺ من الحب ابن الحب وقال له بلهجة شديدة: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[2].

هذه بعض المواقف من حياته ﷺ لعلنا نعتبر بها فى عصر الجفاء والغلظة علها أن تُبَرِّد أكبادنا وتطفئ نار قلوبنا وتهدئ من روعنا.

* * * * *

(١) رواه أبو داود ٤٦٠٢، حسنه الألباني فى صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٣٥.

(٢) رواه البخاري ٣٤٧٥، مسلم ١٦٨٨، أبو داود ٤٣٧٣، الترمذي ١٤٣٠، النسائي ٤٨٩٥، ابن ماجة ٢٥٤٧.

obeikandl.com

المبحث السابع
الشخصية الدعوية المؤثرة

يحتاج المجتمع المسلم دائماً إلى شخصيات متوازنة ذات قيمة فعلية تأخذ بيده وتؤثر فيه وتقوده نحو تحقيق ذاته وإثبات أثره الإيجابي المرجو، كما تحتاج الأمة دوماً إلى تلك الشخصيات الإسلامية الدعوية المؤثرة لتقويم مسار أفرادها وتحديد الأطر التطبيقية للعمل التنفيذي الخاص بالدعوة والحركة الإسلاميتين.

ومن ثم كان الاهتمام بتخريج دفعات متتابعة من الدعاة ذوي الشخصيات المتميزة والمؤثرة واجباً هاماً على عاتق العمل الإسلامي وقائديه.

١ - الدافعية للتأثير:

الدافعية للتأثير شرط هام في التأثير في الآخرين، فالداعية الذي يريد ترك الأثر الحسن في الناس، ويريد دعوتهم إلى الله إرادة حازمة عازمة هو الذي يعتبر قد ابتدأ أولى الخطوات في هذا السبيل، أما الذي لم تتكون عنده الدوافع للتأثير فلن يؤثر.

والدافع هنا هو المحرك الأول للاهتمام بالآخرين، ولذلك فإن النبي ﷺ قد علمنا أن نربي الناس بإيقاظ الدوافع الطيبة فيهم بطرق مختلفة، فمن ذلك قوله - ﷺ : «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»[١]، فهو حديث واضح في إنشاء الدافعية لدى الشخصية الإسلامية نحو التأثير في الآخرين وتغييرهم إلى الهداية والصلاح، وكذلك قوله ﷺ : «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحدث بها**»[٢]، يدعو له بالنضرة والصلاح، فهذا أيضا واضح في بثه ﷺ الدوافع الإيمانية في الدعاة إلى الله أن يحدثوا بحديثه ويعلموا بعلمه، وكذلك قوله -ﷺ : «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة..**»[٣]..

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجاه في الصحيحين.
(٣) أخرجه مسلم.

٢ - ثلاثة مداخل للتاثير في الشخصية:

هناك ثلاثة مداخل للتأثير في الناس: (الأمن والإنجاز والحب)، ثلاثة مداخل مهمة تستطيع من خلالها غزو شخصية الآخر للوصول إلى التأثير فيه وتوجيهه، فأما الأول فهو الأمن، وأقصد به أن يأمن الآخر أن السلوك الذي تدفعه إليه آمن غير ضار نافع غير مفسد، وليس المقصود هنا هو الأمن على المصالح الشخصية فحسب، بل يتعدى الأمر إلى أكبر من هذا إلى الأمن على المستقبل والمآل والمنتهى، كما يتعدى إلى أمن الحرام وأمن البعد عن اللعنة الإلهية والأمن من غضب الرب - سبحانه - قال الله - تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالأمن هنا هو أمن المآل والرحمة والأمن من العذاب والسخط، وقد جعل - سبحانه - بيته بيتاً آمناً: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، بل إنه من أراد فيه بسوء عوقب ولو لم يبتدئ تنفيذ عزمه ونيته الفاسدة، قال - تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

ويشبه العلماء الأمن للإنسان كالتربة الصالحة وهو هنا تربة نفسية تفتح باب القبول للشخصية الداعية، وقد علمنا رسول الله ﷺ ذلك كثيراً في أحاديثه فمنه قوله ﷺ من قال: **«لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه إلا بحق الإسلام»**.

كذلك فالإنجاز مدخل مهم للنفوس فالداعية إلى الله سبحانه لابد وأن يشعر الآخرين بالإنجاز فإننا لو شبهنا الأمن بالتربة الصالحة فإن الإنجاز هو ذلك الماء الذي يروي هذه التربة ويبث فيها الرونق والانتعاش ويظهر فيها علامات الحياة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يربى الناس على إشعارهم بالإنجاز والتميز والتقدم فيقول لهم ﷺ: **«مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله بـه أجر لا أقول آلم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف»** [1]، فهو يعلمك أنك تنجز كثيراً جداً وتحصل كثيراً جداً بقراءتك أكثر مما تتصور، حتى الذين لم يحسنوا القراءة بعد، يقول لهم ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شـاق فلـه أجران»** [2] فهو يعلمك أنك منجز على كل حال ولن يمنعك تعلمك أن تحصل

(١) أخرجه البخارى.
(٢) اخرجه البخارى.

الثواب الكبير والعميم فأنت منجز على كل حال، ويقول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله لـه خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً لـه وإن أصابته سراء صبر فكان خيراً لـه**»[1]، فهو يعلمه أنه منجز على كل حال ومحصل للثواب على كل حال، وهذا الشعور يبث في المدعو الثقة ويدفعه نحو العمل ونحو التطبيق للتوجيه الذي تعلمه.

كذلك فإن الحب مدخل هام جداً من مداخل الشخصية: فأنت يا أيها الداعية إذا أردت التأثير في الناس فدعهم يحبونك أولاً، ثم بعد ذلك مرهم فيعملوا، فالحب يرقق القلوب ويقربها إلى الداعية قال الله - تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهو بيان رباني إذن للنبي ﷺ أن يجد الطريق إلى القلوب برقة ورحمة ومحبة وتسامح وعفو، قال الله - تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، وانظر إلى الداعية المحبوب كيف يجد طريقه إلى التأثير في الناس وفي قلوبهم بمنتهى اليسر والبساطة وانظر إلى الآخر الذي يريد إجبار الناس على التأثر بكلماته وهو منفر غليظ عبوس متكلف معجب بنفسه وبعمله، مستقل عمل الآخرين وطاعاتهم.. لكم يخسر هذا.. لكم يخسر!!

٣ - قانونان للتأثير في الآخرين:

هناك قانونان للتأثير في الآخرين قد أثبتت التجارب والاستقصاءات صحتهما وهما: الأول (من الباطن إلى الظاهر)، والثاني هو: (من العالي إلى المنخفض)..

فأما القانون الأول: وهو يعنى أن عمليات التأثير والتأثر تخضع لوجود علاقة بين ما هو ظاهر في شعورك وما هو باطن داخلك وأن تقليد الباطن متقدم على تقليد الظاهر وبمعنى آخر، فإننا حينما نتأثر نبدأ بتقليد الأفكار والآراء والتشبع بها قبل تقليد السلوك ذاته، فالأمم التي تقلد الأمم الغربية في سلوكها مثلاً وملابسها وطريقة حياتها لا تقلدها إلا بعد اتصالها بها بشيء من الأمور المعنوية والتأثر بها فكرياً، ومن خلال التأثير في مبادئها واعتناق

---

(١) أخرجه مسلم.

كثير من تصوراتها ، لذلك فإنك تجد أن الشباب المسلم الذي يقلد الغرب في أحواله الظاهرة هو شباب قليل العلم بعيد عن الجادة الإسلامية قد تأثر قلبه بمبادئ الغرب وقيمه ، وعلى الجانب الآخر فإنك تجد أن الشباب المسلم المتميز والفخور بقيمه والبعيد عن تأثر الغرب غير لهوف في تقليده في مظاهر الحياة ، ومن هنا كان على الدعاة بث معنى العزة والتميز للمسلم ولمبادئه وقيمه وثوابته فإنها إن ثبتت في القلب صار آمناً من السقوط في هوة التقليد الأعمى . .

ونجد هنا أن النبي ﷺ قد أدرك هذه الحقيقة تمام الإدراك ووجه الدعاة إلى الله إليها بكل جلاء ووضوح ، فهو يوجههم نحو طهارة الباطن قبل طهارة الظاهر ويوجههم إلى ابتغاء وجه الله تعالى من عملهم الدعوى وليس ابتغاء وجه الناس ، حتى إذا تأثر الناس بهم تأثروا بطهارة باطنهم ونقاوة سريرتهم وشفافية شخصياتهم وسبحان الله فإن الداعية الذي اتصف بذلك لهو الداعية الذي تجتمع الناس حوله ويتأثرون بقوله وفعله ، بل كان النبي ﷺ يحذرهم من الذين يعاملون الناس بوجه ظاهره حسن وقلوبهم خبيثة منكرة ، فقال ﷺ فيما رواه مسلم: «**إن من أهل النار من تندلق أقتاب بطنه يدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع إليه أهل النار فيقولون له: يا فلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**» ، فهذا لا أثر لفعله في الناس إذ أن فعله الظاهر قد خرج من باطن خبيث فكان مآله كباطنه ولم ينفعه ظاهره شيئاً .

وهنا سقطة قد يقع فيها الدعاة إلى الله فهو قد يجد قبولاً عند الناس فيعبرون له عن محبتهم له بالهبات والخدمات والدعوات وقبول الداعية لمثل ذلك يحط من دعوته في أنظار الناس فيهون عليهم ويصبح الداعية مرغوباً عنه ، والصادقون من الدعاة إلى الله يعطون ولا يأخذون وهم أصحاب الأيدي العالية والنفوس الكبيرة يقول الماوردي: "والمروءة هي حلية النفوس وزينة الهمم ولا تكون المروءة إلا بالعفة والنزاهة والصيانة والعفة البعد عن المحارم والمآثم والنزاهة البعد عن المطامع الذاتية والمواقف المريبة وأما الصيانة فتكون بصيانة النفس عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانة بالخلق" أدب الدنيا والدين .

وأما القانون الثاني: فهو أن التأثر إنما يكون من العالي إلى المنخفض وهو يشير إلى أن التأثر غالباً ما يكون من الشخص ذي القيمة والمقدار والعلم والخبرة ، في الآخر الذي هو

أقل ، سواء كان ما يؤثر به معنوياً أو مادياً ، وينطبق هذا القانون على تقليد الصغير للكبير وتقليد الضعيف للقوى وتقليد الفقير للغني والتلميذ للأستاذ والتاجر الصغير للتاجر الكبير فمن هنا حرص الإسلام على عدة جوانب هامة في فن التأثير في الآخرين ، فقد حرص على أن يتمتع الدعاة إلى الله بالعلم وأمر بالعلم حتى يؤثر الداعية في غيره فلابد أن يعلوه بالعلم الذي يعلمه إياه أما الداعية إن كان جاهلاً فلن يستطيع التأثير في غيره ، كما حرص الإسلام على تميز الداعية بالصبر والثبات إذ أن الناس يفتقدون الصبر والثبات في بداية طريقهم وصبر الداعية وثباته له أكبر الأثر في غيره ليقتدوا به ، كذلك حرص الإسلام على تميز الداعية بالورع والقرب إلى الله سبحانه وجعله له ركناً ركيناً يستند عليه ، وقد يعلم الداعية بإيمانه ويقينه وورعه من فاقه علماً وخبرة في بعض الأحيان قال الإمام أحمد رحمه الله: لقيني في طريقي إلى السجن أعرابي فأوقف الدابة ، وقال: يا أحمد إن تعش ، تعش حميداً ، أو تمت ، تمت شهيداً ، قال الإمام أحمد:

فقوي قلبي[1] . . .

٤ - التأثير في الآخرين وتغييرهم إلى الهداية :

الداعية الذي يريد ترك الأثر الحسن في الناس ، ويريد دعوتهم إلى الله هو الذي يعتبر قد ابتدأ أولى الخطوات في هذا السبيل إذا امتلك الدوافع للتأثير ، أما الذي لم تتكون عنده الدوافع للتأثير فلن يؤثر .

والدافع هنا هو المحرك الأول للاهتمام بالآخرين ، ولذلك فإن النبي ﷺ قد علمنا أن نربي الناس بإيقاظ الدوافع الطيبة فيهم بطرق مختلفة ، فمن ذلك قوله ﷺ : «**لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**»[2] ، فهو حديث واضح في إنشاء الدافعية لدى الشخصية الإسلامية نحو التأثير في الآخرين وتغييرهم إلى الهداية والصلاح ، وكذلك قوله ﷺ : «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحدث بها**»[3] ، يدعو له بالنضرة والصلاح ، فهذا أيضا واضح في بثه ﷺ الدوافع الإيمانية في الدعاة إلى الله أن يحدثوا بحديثه ويعلموا بعلمه ،

---

(١) المصدر: موقع المسلم .

(٢) أخرجه البخاري .

(٣) أخرجاه البخارى ومسلم .

وكذلك قوله ﷺ : «**الدال على الخير كفاعله**» رواه مسلم ، فهو هنا يدفع الداعية إلى بيان السبيل القويم للناس ودلالتهم على العمل الصالح ويبث فيه الرغبة في العمل بأن له أجر كأجر فاعله ، وكذلك قوله ﷺ : «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة..**»[1] .

٥ - مداخل التأثير في الشخصية :

الأمن والإنجاز والحب ، ثلاثة مداخل مهمة تستطيع من خلالها غزو شخصية الآخر للوصول إلى التأثير فيه وتوجيهه:

١- **الأمن:** وهو أن يأمن الآخر أن السلوك الذي تدفعه إليه آمن غير ضار نافع غير مفسد ، وليس المقصود هنا هو الأمن على المصالح الشخصية فحسب ، بل يتعدى الأمر إلى أكبر من هذا إلى الأمن على المستقبل والمآل والمنتهى ، كما يتعدى إلى أمن الحرام وأمن البعد عن اللعنة الإلهية والأمن من غضب الرب - سبحانه - قال الله - تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، فالأمن هنا هو أمن المآل والرحمة والأمن من العذاب والسخط ، وقد جعل - سبحانه - بيته بيتاً آمناً: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، بل إنه من أراد فيه بسوء عوقب ولو لم يبتدئ تنفيذ عزمه ونيته الفاسدة ، قال - تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥] .

ويشبه العلماء الأمن للإنسان كالتربة الصالحة وهو هنا تربة نفسية تفتح باب القبول للشخصية الداعية ، وقد علمنا رسول الله ﷺ ذلك كثيراً في أحاديثه فمنه قوله ﷺ من قال: «**لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه إلا بحق الإسلام**» .

٢ - **الإنجاز:** مدخل مهم للنفوس فالداعية إلى الله سبحانه لابد وأن يشعر الآخرين بالإنجاز فإننا لو شبهنا الأمن بالتربة الصالحة فإن الإنجاز هو ذلك الماء الذي يروي هذه التربة ويبث فيها الرونق والانتعاش ويظهر فيها علامات الحياة ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يربى الناس على إشعارهم بالإنجاز والتميز والتقدم فيقول لهم ﷺ : «**مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله**

---

(١) أخرجه مسلم .

به أجر لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف» فهو يعلمك أنك تنجر كثيراً جداً وتحصل كثيراً جداً بقراءتك أكثر مما تتصور، حتى الذين لم يحسنوا القراءة بعد، يقول لهم ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران**» فهو يعلمك أنك منجز على كل حال ولن يمنعك تعلمك أن تحصل الثواب الكبير والعميم فأنت منجز على كل حال، ويقول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته سراء صبر فكان خيراً له**»[1] فهو يعلمه أنه منجز على كل حال ومحصل للثواب على كل حال، وهذا الشعور يبث في المدعو الثقة ويدفعه نحو العمل ونحو التطبيق للتوجيه الذي تعلمه.

٣ - **الحب:** مدخل هام جداً من مداخل الشخصية: فأنت يا أيها الداعية إذا أردت التأثير في الناس فدعهم يحبونك أولاً، ثم بعد ذلك مرهم فيعملوا، فالحب يرقق القلوب ويقربها إلى الداعية قال الله - تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهو بيان رباني إذن للنبي ﷺ أن يجد الطريق إلى القلوب برقة ورحمة ومحبة وتسامح وعفو، قال الله - تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، وانظر إلى الداعية المحبوب كيف يجد طريقه إلى التأثير في الناس وفي قلوبهم بمنتهى اليسر والبساطة وانظر إلى الآخر الذي يريد إجبار الناس على التأثر بكلماته وهو منفر غليظ عبوس متكلف معجب بنفسه وبعمله، مستقل عمل الآخرين وطاعاتهم.. لكم يخسر هذا.. لكم يخسر!!

* * * * *

(١) أخرجه مسلم.

المبحث الثامن
كيف يكون إلقاؤك مؤثراً؟

أولاً: - أسس لابد منها:

١ – الإخلاص لله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، ويقول جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠]. فأمر سبحانه بتقواه أولاً، ثم القول السديد المستقيم الموافق لهدي المصطفى ﷺ، وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

فما كان الله ليبارك في عمل لم يرد به صاحبه وجه الله. ففي الحديث القدسي يقول الله سبحانه وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»(٢).

وكما أثر عن سلفنا الصالح أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه تعالى وموافقا لسنة نبيه محمد ﷺ.

– اتباع هدي النبي ﷺ في كلامه وخطبه وأحاديثه:

ولا ريب أن عملاً لا يقبله الله لا يمكن أن يكون مؤثراً في الناس تأثيراً يرضاه الله. كما أن الله قد علَّم نبيه أفضل الطرائق والأساليب لدعوة الناس إلى دين الإسلام، فهو ﷺ خير متبوع في هذا الأمر وفي كل أمر. يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]. ويقول تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ

---

(١) رواه البخاري فتح الباري كتاب بدء الوحي المجلد الأول رقم الحديث (١).
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤١٨٩ المجلد ٣ – ٤.

ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] . ويقول جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣] . ويقول النبي ﷺ : «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي**» [(١)] ، ويقول: «**أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها**» [(٢)] ، ويقول أيضا: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» [(٣)] .

٢ - **القدوة:** إن كلامك لن يكون مقبولاً إلا إذا صدَّق فعلُك قولَك ، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الصف: ٢] ، ويقول سبحانه على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨] ، وتقول عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق النبي ﷺ : (كان خلقه القرآن) [(٤)] .

فلقد كان صلوات ربي وسلامه عليه يدعو الناس للعمل بالقرآن وكان هو أول من يتخلق بأخلاق القرآن ، فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه الدعاة المخلصون .

٣ - وضوح اللغة:

يجب أن يكون الإلقاء باللغة التي تناسب المستمعين فبالنسبة لنا نحن العرب يجب أن يكون إلقاؤنا باللغة العربية الفصحى ، مع ضرورة تجنب اللهجات الدارجة إلا في أضيق الحدود . يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢] ، ويقول: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] ، ويقول جل من قائل: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤] ، إن مراعاة النطق السليم وقواعد اللغة له أكبر الأثر في تقبل الجمهور لما يلقى إليهم . كما أن استخدام المحسنات البديعية دون مبالغة يضفي على الإلقاء جمالاً وقبولاً لدى المستمعين .

---

(١) الألباني في صحيح الجامع برقم(٢٩٣٤ المجلد٣ - ٤ .
(٢) صحيح الجامع برقم (١٣٦٥) المجلد ١ - ٢ .
(٣) صحيح الجامع برقم (٦٢٧٤) المجلد٥ - ٦.
(٤) صحيح الجامع برقم٤٦٨٧ المجلد٣ - ٤ .

٤ – التوقيت المناسب:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[١] ، أي كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ، كما نقله ابن حجر رحمه الله في الفتح عن الخطابي . فهذا يتضمن اختيار الوقت المناسب للمحاضرة ابتداءً ، كما يتضمن عدم الإكثار في عدد مرات الإلقاء ومراعاة الفارق الزمني بين كل محاضرة وأخرى .

أما بالنسبة لطول المحاضرة فهو أمر في منتهى الأهمية ، حيث ينبغي مراعاة الحال سواء بالنسبة لنوعية الإلقاء أو نوعية المكان أو نوعية المستمعين . وعلى كل حال فإن الأصل هو عدم الإطالة والالتزام بوقت محدد مما يضمن عدم تسرب الملل إلى المستمعين . ولعل المتخصصين في مجال التربية والتعليم يجبذون أن لا تطول المحاضرة أو الدرس أكثر من (٤٥) دقيقة .

٥ – الوسائل المناسبة :

السبورة – الشفافيات – الشرائح – الفيديو – الكمبيوتر . . . إلخ ، مما يساعد على توضيح المعاني ، ويؤدي إلى جذب انتباه المستمعين .

ولعل لاستخدام هذه الوسائل التعليمية أصلاً في الشريعة حيث ثبت في صحيح البخاري (أن النبي ﷺ خط خطاً مربعاً ، وخط خطا في الوسط خارجاً منه ، وخط خُطُطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان ؛ وهذا أجله محيط به – أو قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخُطُط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا)[٢] .

٦ – تنويع الأساليب:

كالتقرير والاستفهام والتعجب وكضرب الأمثال وقص القصص وغيرها مما يكثر استعماله في القرآن والسنة المطهرة . كما أن من أعظم الأساليب المؤثرة في المستمعين هو الاستدلال على أقوالك بنصوص القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ ما استطعت إلى ذلك

---

(١) البخاري فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٨ .

(٢) رواه البخاري فتح الباري المجلد الحادي عشر برقم٦٤١٧ .

obeikandl.com

سبيلا .

٧ – مراعاة حاجة المستمعين للموضوع:

فهذا هو القرآن يتنزل في مكة ثلاث عشرة سنة لا يحدثهم في الأعم الأغلب إلا في موضوع العقيدة لحاجة المسلمين الجدد لهذا الموضوع دونما سواه ، كما أن القرآن كان يتنزل طيلة حياة الرسول ﷺ يعالج المواقف والوقائع التي كانت تقع آنذاك . وهذا هو الرسول ﷺ يستغل وقوع الحوادث والمناسبات ليحدثهم عنها ، كما حدث عند كسوف الشمس في عهده وعند خوض نفر من المسلمين في حادثة الإفك وغير ذلك كثير .

٨ – مشاركة الجمهور:

وذلك عن طريق إلقاء الأسئلة عليهم واستقبالها منهم ، ففي خطبة الوداع يسأل الرسول ﷺ أصحابه فيقول: «**أتدرون أي يوم هذا؟...**» الحديث [١] .

ويسألهم في حديث أخر فيقول: «**أتدرون من المفلس؟...**» الحديث [٢] كما كان ﷺ يستقبل الأسئلة منهم حيث ورد في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**قاربوا وسددوا، وأبشروا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**» ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**» [٣] .

وفي الحديث الآخر المتفق عليه يقول الرسول ﷺ : «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له**» ، قالوا: يا رسول الله ، إن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: «**في كل كبد رطبة أجر**» [٤] .

٩ – ابدأ بالمعلوم ثم انتقل للمجهول:

من ذلك ضرب الأمثلة وهو كثير في القرآن والسنة ففي القرآن يقول تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري في فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٧ .
(٢) صحيح الجامع المجلد الثالث الحديث رقم ١ صفحة ١١٧ .
(٣) صحيح الجامع برقم ٤١٧٣ المجلد٣ – ٤ .
(٤) صحيح الجامع برقم ٢٨٧٠ مجلد ٣ – ٤ .

يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] .

أما من السنة ففي خطبة الوداع بدأ رسول الله ﷺ بتقرير حرمة اليوم والشهر والبلد وهي أمور معلومة لأصحابه ثم انتقل إلى ما قد يجهلونه وهو أن دماءهم وأموالهم حرام عليهم كحرمة هذه الأمور[١] .

١٠ - تأكد من الإفهام:

بسؤالهم هل فهموا ؟ قال الرسول ﷺ في آخر خطبة الوداع: «**ألا هل بلغت**» (ثلاثاً) حتى قالوا: نعم ، فقال: «**اللهم فاشهد**»[٢] .

كما أن توجيه الأسئلة إليهم عن موضوع الإلقاء سواء شفوياً أو تحريرياً بعد نهاية الدرس أو المحاضرة واستقبال أجوبتهم ينبئك عن مدى فهمهم للموضوع .

١١ - تعزيز الفهم والتحفيز:

بالتكرار ، والأسئلة فيما سبق طرحه ، والحوافز المادية والمعنوية ، والتنويع في الوسيلة والأسلوب .

١٢ - التعليم بالتطبيق العملي :

صعد الرسول ﷺ المنبر لتعليم أصحابه الصلاة وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٣] ، وقال كذلك في الحج: «**خذوا عني مناسككم**»[٤] ، «**لتأخذوا عني مناسككم..**» إلخ الحديث[٥] .

١٣ - مبدأ البذرة والأرض والساقي :

يصور ذلك تصويراً جميلاً قول المصطفى ﷺ : «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها**

---

(١) رواه البخاري في فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٧ .
(٢) رواه البخاري في فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٧ .
(٣) إرواء الغليل رقم ٢٦٢ المجلد الأول صفحة ٢٩١ .
(٤) رواه البخاري ، فتح الباري .
(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادة رقم ٣ المجلد الأول صفحة ٤٤١ .

أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (١) .

وهذا يعني أنه لابد من اختيار الأرض الخصبة التي تتقبل البذرة وتنبت بإذن ربها ، كما أنه لابد من المتابعة والسقي المستمر والصبر على ذلك مهما طال الزمن ، وإلا قد تجدب الأرض وتموت البذرة ولا تثمر الجهود .

١٤ - الرفق والرحمة والخلق الحسن :

يقول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، ويقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] ، ويقول سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، ورسول الله ﷺ يقول: **«ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»** (٢) .

وعندما بال الأعرابي في المسجد لم يزجره النبي ﷺ ولم يعنفه وإنما قال له : **«إنما جعل المسجد للصلاة وذكر الله ولا يصلح لمثل فعلك»** ، وعندما عطس رجل في الصف والصحابة يصلون خلف رسول الله ﷺ فقال له معاوية بن الحكم رضي الله عنه : يرحمك الله ، بصوت عال ، فرماه الصحابة بأبصارهم فقال معاوية: واثكل أمياه ، فأخذوا يضربون على أفخاذهم ليسكتوه ، وعندما سلم الرسول ﷺ من صلاته ، لم ينهره ولم يعنفه وإنما قال له: **«إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس هذا إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»** (٣) .

١٥ - كن قيادياً :

أحسن السيطرة على المستمعين لكيلا يفلت منك زمام المحاضرة . فقد يوجد بينهم من يثير الشغب أو من يحب الضحك والمزاح أو من يهوى إحراج المحاضرين .

ولعله يحضرني في هذا المقام قصة طريفة لأحد الدعاة عندما كان يحاضر في جمع من

---

(١) رواه البخاري ، فتح الباري رقم ٧٩ المجلد الأول .
(٢) رواه مسلم .
(٣) صحيح سنن أبي داود رقم الحديث ٨٢٣ المجلد الأول صفحة ١٧٥ .

النساء عن تعدد الزوجات في الإسلام، وأفاض في الحديث بموضوعية وإتقان واستيعاب، واستعان بالأرقام والإحصاءات، وأورد الحجج العقلية والنقلية لإثبات فوائد تعدد الزوجات، إلا أن عدداً من الحاضرات لم يقتنعن وأخذن في اللجاج والجدل العقيم، فرأى المحاضر أن يسكتهن بطريقة أخرى. فقال لهن: في الحقيقة أن المسئول الحقيقي عن تعدد الزوجات هو المرأة لا الرجل. فلما استغربن ذلك وأنكرن عليه قال لهن: لو أن كل امرأة رفضت أن تكون زوجة ثانية لرجل لما كان هناك تعدد زوجات.

ثانيا: - المواصفات الكلامية: -

١ - معدل سرعة الكلام:

لا يكن كلامك سريعاً لا يُفهَم ولا بطيئاً فيُملَ، وإنما ابتغ بين ذلك سبيلا. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيِّنٍ فَصل، يحفظه من جلس إليه)[١].

وثبت عن أم سلمه قالت: (كان النبي يقطع قراءته يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] ثم يقف ثم يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣] ثم يقف وكان يقرأ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] . . . الحديث)[٢].

٢ - التكرار للمعلومة المهمة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً، لتعقل عنه)[٣].

وقال النبي ﷺ: «**ويل للأعقاب من النار - مرتين أو ثلاثا**»[٤].

ويقول النبي ﷺ: «**ألا أحدثكم بأكبر الكبائر**» (ثلاثاً) ؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وجلس وكان متكئاً فقال: «**وشهادة الزور**». قال: فما زال

---

(١) مختصر الشمائل المحمدية رقم الحديث ١٩١ صفحة ١١٩.
(٢) الشمائل المحمدية برقم ٧٢٠ صفحة ١٦٦.
(٣) الشمائل المحمدية برقم ١٩٢ صفحة ١٢٠.
(٤) صحيح الجامع برقم ٧٠٠٩ مجلد ٥ - ٦.

يقولها حتى قلنا: ليته سكت[١].

٣ – السكتة الخفيفة قبل المعلومة المهمة :

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : خطبنا النبي ﷺ يوم النحر فقال: «**أتدرون أي يوم هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : «**أليس يوم النحر ؟**» قلنا بلى ، قال: «**أي شهر هذا ؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال: «**أليس ذو الحجة؟**» قلنا: بلى . قال: «**أي بلد هذا ؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال: «**أليست بالبلدة الحرام ؟**» قلنا: بلى . قال : «**فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا إلى يوم تلقون ربكم...**» إلخ الحديث[٢].

٤ – تكلم ببطء عند المعلومة المهمة :

فإن ذلك أدعى لجذب انتباه المستمعين ، وأبلغ في إيصال المعلومة المهمة إليهم .

٥ – تجنب السكتات الطويلة من غير حاجة :

كتلك التي تفعل عند تقليب الأوراق أو البحث عن ورقة معينة أو استذكار نص معين من القرآن أو الحديث أو غير ذلك .

٦ – تجنب تكرار كلمة معينة بكثرة لغير حاجة :

نحو: (يعني ، إيش ، عرفت ، تعرف ، سمعت ، أقول ، شفت كيف ، في الحقيقة ، ليه ، في الواقع ، هاه . . . إلخ) .

٧ – ارتفاع الصوت :

ينبغي أن ترفع صوتك بحيث تسمع جميع المستمعين دون أن تزعجهم تأسياً برسول الله ﷺ .

٨ – ارفع الصوت عند المعلومة المهمة :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها ،

---

(١) مختصر الشمائل المحمدية للألباني رقم ١٠٤ صفحة ٧٤ .
(٢) إرواء الغليل رقم ١٠ صفحة ٤٣ .

obeikandl.com

فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته : «**ويل للأعقاب من النار**» مرتين أو ثلاثاً [١] .

وأخرج مسلم من رواية جابر رضي الله عنه قال : (كان النبي ﷺ إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته)[٢] .

٩ – لا يكن صوتك رتيبا مملا في الشدة والحدة:

فإن التنويع في شدة الصوت بين الارتفاع والانخفاض ، وفي الحدة ترقيقاً وتفخيماً ، يمنع تسلل الملل والنعاس إلى المستمعين ، ويشد انتباههم إليك شدًّا .

ثالثا: - المؤثرات غير الكلامية : -

١ – المظهر العام :

لا بد أن يوافق سنة المصطفى ﷺ من إعفاء اللحية وجعل أسفل الثوب فوق الكعبين بالنسبة للرجال ونظافة الملبس وحسن الهندام ، هذا بالإضافة إلى كونه مقبولاً لدى المستمعين من حيث العرف والتقاليد فإن الله سبحانه وتعالى رد على المشركين عندما اعترضوا على كون النبي المرسل إليهم بشراً وطلبوا أن يكون ملكاً بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾[الأنعام: ٩] .

٢ – توزيع النظرات :

ينبغي الإقبال بالوجه والنظر إلى جميع المستمعين وعدم النظر فقط في الأوراق أو إلى أعلى أو إلى أسفل أو إلى جهة واحدة أو إلى شخص معين ، فإن ذلك أدعى لجذب انتباه المستمعين جميعهم إليك ؛ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة)[٣] ، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم ، يتألفهم بذلك ، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليَّ ، حتى ظننت أني خير القوم فقلت: يا رسول الله ، أنا خير أو أبو بكر ؟ قال : «**أبو بكر**» ، فقلت يا رسول الله ، أنا خير أو عمر؟ فقال:

---

(١) صحيح الجامع برقم ٧٠٠٩ مجلد ٥ – ٦ .

(٢) صحيح النسائي برقم ١٤٨٧ المجلد الأول صفحة ٣٤٥ .

(٣) رواه ابن ماجة وصححه الألباني رقم الحديث ٤٢ المجلد الأول صفحة ١٤ .

«عمر» ، فقلت: يا رسول الله ، أنا خير أو عثمان؟ قال: «**عثمان**» . فلما سألت رسول الله ﷺ فصدقني ، فلوددت أني لم أكن سألته)[١] .

٣ – تعبيرات الوجه :

ينبغي على الملقي أن يتفاعل مع ما يقول فإن كان حديثه عما يفرح تهلل وجهه فرحاً . وان كان عما يحزن بان الحزن على وجه . وإن كان عما يغضب احمرت وجنتاه من الغضب . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : يقول ﷺ : «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه [٢] . . . . . الحديث .

وعن فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس أنها سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، قالت : فصليت مع رسول الله ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال: «**ليلزم كل إنسان مصلاه**» ، ثم قال: «**أتدرون لم جمعتكم ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً فجاء، فبايع وأسلم. وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال**» [٣] .

٤ – تحريك اليد والجسم :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : يقول ﷺ : «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى [٤] .

(وكان ﷺ إذا خطب يشير بإصبعه المسبحة)[٥] ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده (وقبض بيده يقبضها ويبسطها) ثم يقول: أنا الجبار ! أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟**» قال: ويتميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء

---

(١) مختصر الشمائل المحمدية حسنه الألباني برقم ٢٩٥] .
(٢) صحيح النسائي وصححه الألباني برقم الحديث ١٤٨٧ المجلد الأول صفحة ٣٤٥ .
(٣) رواه مسلم وصحيح الجامع برقم ٢٥٠٨ .
(٤) صحيح ابن ماجة رقم الحديث ٤٣ المجلد الأول صفحة ١٤.
(٥) مختصر صحيح مسلم رقم الحديث ٤١٤ صفحة ١١٤ .

منه . حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟ [١] .

٥ – وضع الوقوف أو الجلوس :

(كان الرسول ﷺ يخطب وهو واقف على المنبر ويتكئ أحياناً على عصا أو سيف أو على رجل)[٢] .

وكان يحدث أصحابه وهو جالس ، وربما جلس متكئاً أحياناً .

وقد مر بنا حديث (وقول الزور) وكيف كان الرسول ﷺ متكئاً ثم جلس .

٦ – الحركة والانتقال:

ذهاباً وإياباً حسب ما يناسب الحال لأنه أدعى لجذب انتباه المستمعين .

٧ – كيف تتغلب على القلق؟

١ – استحضر الإخلاص لله تعالى يقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ [محمد: ٧] .

٢ – أكثر من إلقاء الكلمات والمواضيع .

٣ – حضر الموضوع بإتقان .

٤ – جرب الإلقاء لوحدك مرة أو أكثر قبل مقابلة الجمهور .

٥ – أكثر من ذكر الله وأنت في طريقك إلى الإلقاء يقول تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

٦ – اسأل الله اطمئنان القلب والصبر والتثبيت ، يقول تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾ [البقرة: ٢٥٠] .

٧ – ابدأ الإلقاء بذكر الله وحمده ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته ، يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله . . . الحديث)[٣] . ولعل

---

(١) صحيح ابن ماجة رقم الحديث ١٦٤ المجلد الأول صفحة ٣٩ .
(٢) صحيح سنن النسائي ١٤٨٤ المجلد الأول صفحة ٣٤٥ .
(٣) صحيح سنن النسائي رقم الحديث ١٤٨٧ المجلد الأول صفحة ٣٤٥ .

أحسن ذلك خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يعلمها لأصحابه ، وهي: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره...**» إلخ [١] .

٨ - حافظ على تركيزك في موضوعك .

٩ - كن إيجابياً في تفكيرك تجاه نفسك وتجاه المستمعين فأنت قادر على الإلقاء بإذن الله ، وعملك من أحسن الأعمال وأشرفها حيث يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] ، وقد وعد الله سبحانه وتعالى بالتيسير لك إن أنت ذكّرت الناس ودعوتهم فقال جل من قائل: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى: ٨ - ٩] .

كما أن المستمعين متفاعلين معك فقد كلفك الله بالتذكير ووعد بتأثر من يخشى فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعلى: ٩ - ١٠] .

واعلم أن المستمعين لا يعلمون أنك قلق ، ولو علموا بذلك لعذروك لأنهم يقدرون موقفك ، ولو كان أحدهم مكانك لشعر بما تشعر .

٨ - كيف تقيس مدى استجابة الجمهور ؟

١ - فهم المستمعين للموضوع بإجاباتهم على أسئلتك .

٢ - سرورهم وارتياحهم للموضوع .

٣ - تبني وجهات النظر التي تدعو إليها .

٤ - تحسن علاقاتهم بك ومحبتهم لك .

٥ - تبنيهم للسلوك الذي تدعو إليه .

٦ - دعوتهم للآخرين إلى السلوك الذي تدعو إليه .

يتبين مما سبق طرحه ، أن الإلقاء بات سلاحاً من أسلحة الدعوة إلى الله ينبغي الاهتمام به ، والإلمام بفنونه لكي نضمن بإذن الله وصول المعلومة الصحيحة إلى المدعوين ومن ثم

---

(١) رسالة خطبة الحاجة للألباني .

يكون التغيير المراد في وجهات النظر وفي السلوك .

إن مما ينبغي التنبيه إليه هو أن الدعوة إلى الله عبر الكلمة المسموعة لابد أن تستمر ولا تتوقف بحجة ضرورة استكمال الإلمام بفنون الإلقاء . بل لابد أن نتقي الله ما استطعنا فندعو إلى الله بما عندنا من العلم ومن مهارات الإلقاء مع مواصلة تعلم مهارات أخرى والتدرب عليها ، فرب كلمة خرجت من قلب مخلص يكون لها أكبر الأثر في قلوب المستمعين[1] .

* * * * *

(١) د/ محمد فهد الدوسري/ بتصرف قليل .

obeikandl.com

المبحث التاسع
وصايا للداعية الجديد

هذه وصايا وإرشادات للداعية الجديد لتقويم السير وتصحيح المسار . .

١- صاحب الإخلاص في دعوتك :

فالواجب على الداعية الجديد فضلاً عن غيره أن يستشعر دوماً أن الدعوة إلى الله عبادة يتقرب بها إليه ، وكل عبادة لا تقبل إلا بإخلاص صاحبها ، ومم ينافي إخلاص الداعية أو يعكر عليه صدق نيته ، أن يبتغي بدعوته محمدة الناس أو لفت أنظارهم إليه ، أو إثبات وجوده ومنافسة أقرانه ، والداعية الجديد قد لا يقصد هذه الأمور ولكنه يصاب بها في مواضع ويهمل قلبه فيصل إليها ويتدهور أمره .

ذُكر عن عبد الله بن عمر أنه كان يمشي يوماً في المسجد الحرام فمر برجل يقص القصص ، فقال رجل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن أتدري ما يقول الرجل . ؟(فقال: نعم . . يقول :انظروا إليّ) ، ولعل ابن عمر رضي الله عنه شعر من حال هذا الواعظ إتيانه بالغرائب يريد جمع الناس إليه فكان ما قال .

٢- كن مخلصاً لدعوتك :

وهذا يعني بذل النفس والنفيس في سبيلها ، فنجاح الداعية لا يكون إلا بإخلاصه لدعوته فإن العامل الأساسي للنجاح ليس هو كثرة علم الداعية ولا قوة بيانه وسحره ، ولكن قبل ذلك الإيمان بدعوته التي يدعو إليها ، والخوف الشديد مم يعتريها ، إن مثل هذا الإنسان يصيح بالناس ويترك أقوى الآثار ولو كان أبكم ، يقول أ . محمد الراشد: " إنما يوصل الداعية إلى غايته شغفه بدعوته وإيمانه واقتناعه وتفانيه فيها وانقطاعه إليها " .

ومن الصور التي يظهر فيها عدم إخلاص الداعية لدعوته :

إعطاء الدعوة فضول وقته - التثاقل عن الأنشطة الدعوية - الرمي بثقل الواجبات الدعوية على الآخرين والتملص منها قدر الإمكان - التلفيق في إعداد الأنشطة الدعوية .

٣- لا تنسَ فضل الدعوة :

فإن مم يعين على مواصلة الطريق ، ويشحذ الهمم ، أن يتذكر الداعية فضل الدعوة

وأجرها العظيم ، فقد كان رسول الله ﷺ يذكر أصحابه بهذا الفضل ليشجعهم ، ومن ذلك قوله لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» وقوله ﷺ : «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا**» .

٤- دعوتك واجبٌ عليك :

فينبغي للداعية الجديد أن يعلم أن نشاطه الدعوي ليس نفلاً يتفضل به على دينه ، بل هو واجب لا تبرأ الذمة إلا به ، وحق للمسلمين لا يجوز التقصير فيه ، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: "فعند كثرة المنكرات ، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم ، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته " .

٥- لا تنسَ نفسك من الهدى :

فإن الداعية في زحمة الهموم الدعوية والمشاغل اليومية قد يهتم بالآخرين لكنه ينسى نفسه ، وهنا تحدث له آفات لا يشعر بها إلا بعد حين ، ومنها خواء النفس وقسوة القلب وفتور الهمة وانحراف النية أحياناً ، يقول أ . محمد الراشد: " يجب أن يبقى رجال الصفوة بعض أوقاتهم لمواصلة تربية أنفسهم بالعلم والعبادة ، وإلا قست قلوبهم من بعد لذة الابتداء " ، وقرب الداعية من كتاب الله يجب أن يكون متعةً لروحه وسكناً لفؤاده وشعاعاً لعقله ، ووقوداً لحركته ومرقاة لدرجته .

٦- كن قدوة حسنة :

وهذا يعني أن يكون الداعية صورة حسنة لكل ما يدعو إليه ويريد غرسه في المدعوين ، بل أن يكون فعله وسلوكه قبل قوله وكلامه ، والداعية نفسه شهادة للدعوة ، وهذه الشهادة قد تحمل الناس على قبول الدعوة وقد تحملهم على ردها ورفضها ، يقول عبد الواحد بن زياد: "ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر بشيء يكون أسبقهم إليه ، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم منه .

ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

٧ - خاطب الناس على قدر عقولهم :

فالواجب على الداعية أن يراعِي جهل الناس واختلاف بيئتهم حتى لا تكون دعوته فتنة لهم ، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه "حدّثوا الناس بم يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله" ، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم" ، ومن صور عدم مراعاة فهم الناس :

- طرح الداعية للخلافات الفقهية بتوسع بحيث لا يفقه الناس الراجح من المرجوح .

- كلام الداعية في مسائل دقيقة كالقضاء والقدر .

- إسهاب الداعية في الحديث عن الجماعات الإسلامية وأخطائها بطريقة تجعل الناس يسيئون الظن بها جميعاً .

- تعميم الداعية حول بعض الأمور فيجعل العامة يتساهلون في البدع والمحرمات واتباع الأقوال الضعيفة .

- كلام الداعية مع المدعو في مناهج العلماء والدعوة بطريقة تفصيلية قد تنفر المدعو .

٨- إنما أنت مذكّر :

فالله تعالى أمر نبيه محمد ﷺ بالدعوة والتبليغ ، ولم يطالبه بالنتيجة فقال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨] ، فالمطلوب أن يبذل الداعية قصارى جهده فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فعليها ، ومن فوائد استشعار ذلك أن لا يصاب الداعية بالإحباط عند إعراض المدعوين وفيه حفظ لمشاعره وصون لنفسه: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨] .

٩- لا دعوة إلا بعلم:

فعلى الداعية أن يعتقد أن لا دعوة إلا بعلم ، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الاسراء: ٣٦] ، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

١٠. جدّد علمك وطوّر مهاراتك :

فالداعية لا يليق به أن يقف عند حد من العلم الشرعي بل عليه أن يستزيد منه يوماً بعد يوم، وليست كثرة الأشغال الدعوية مبرراً للتوقف عن طلب العلم، فالناس لن يعذروا الداعية عند وقوعه في الزلل والخطأ، ولن يقبلوا اعتذاره بالجهل، وهكذا الحال بالنسبة للمهارات النافعة للدعوة كمهارات الإلقاء والقراءة والتأثير في الآخرين، فلن يصل الداعية إلى التأثير على المدعوين حتى يسخر المهارات لبلوغ الهدف، ومن أسباب تطوير الذات علمياً ومهارياً حضور الدروس الشرعية وتلخيص الكتب الشرعية والثقافية وحضور الدورات التطويرية في التخطيط والتأثير والإدارة وغيرها.. وزيارة الدعاة من أهل الخبرة والتجربة.

١١- لتكن جهودك الدعوية مكملة لبقية الدعاة :

ويستفاد هذا من قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فقد سمى الله فئة الدعاة أمة للإيماء إلى وجوب كونهم مجتمعين على صفات وخصائص وروابط متميزة تجعلهم ظاهرين في الناس كأمة واحدة لا اختلاف ولا تنازع بين أفرادها، والتجارب لا زالت تؤكد أهمية التنسيق بين أنشطة الدعاة بحيث يحصل التكامل والانسجام، ومن فوائد هذا التكامل تبادل التجارب وقوة الأنشطة ونجاحها وتسخير الطاقات.

١٢- كن مدركاً لواقعك :

فحال الدعاة يشهد على أن فقه واقعهم سبيل متأكد لنجاحهم في تحديد الأولويات فيما يدعون إليه، ولابد من الاعتراف بوجود الخلل في هذه الثقافة عند كثير من الدعاة فهناك عجز في معرفة الحاضر المعاش والواقع المعاصر فكثيراً ما نقع في التهويل أو التهوين فنضخم الشيء الهين ونهون الشيء العظيم، سواءً في إمكانياتنا أو عيوبنا أو قضايانا.

١٣. فاصبر صبراً جميلاً :

فإن اعتياد الناس على معاصيهم ودوام غفلتهم يحتاج إلى جهد دعوي مستمر، ولا يكون ذلك إلا بالصبر والمصابرة، وها هو عمر بن عبد العزيز يقول "إني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فنى عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره"، ومن مواضع الصبر عند تعلم الدين

والصبر على توجيهات المربين وطلبة العلم ومجاهدة النفس على قبولها والصبر على المدعوين والصبر على انتقادات الآخرين .

١٤- عليك بما تطيق :

فإن الله لا يكلف المرء إلا ما يطيق قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، فبعض الصالحين يفهم بذلك الوسع في الدعوة أنه أدنى العطاء للدين ، ولذا هؤلاء لا يقدمون إلا النزر اليسير ، والمطلوب أن تصل النفوس إلى أكبر ما في وسعها وأن يكون جهدها متزايداً كل يوم .

١٥- تخول الناس بالموعظة :

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (حدّث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرات ، ولا تملّ الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت فإن أمروك فحدثهم وهم يشتهون) وعن ابن مسعود : "حدّث القوم ما حدوك بأبصارهم وأقبلت عليك قلوبهم ، فإذا انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدثهم " .

١٦- لا تكن فظاً غليظاً :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**» ، فعلى الداعية استمالة القلوب وهدايتها ، فالناس بحاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم .

١٧- لا تنتظر مجيء الناس إليك :

فشأن الداعية أن يحتك بالناس ويتعرف عليهم ، ويزورهم في مجالسهم ومنتدياتهم ، يقول أ . محمد الراشد: "ومن انتظر مجيء الناس إليه في مسجده أو بيته فإن الأيام تبقيه وحيداً ، ويتعلم فن التثاؤب" ، وينبغي أن يعلم الداعية أن مخالطة الناس وحضور مجالسهم لا ينسيه أنه لا يجوز للداعية السكوت عن المنكرات الموجودة بل لابد من البيان والإنكار ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠] .

١٨- لا تخف من الفشل :

فما لم يزج الداعية بنفسه في غمار دعوته بدون الخوف من الفشل غير عابئ بم يوجه له من النقد ، فإنه لن يتقدم ولن يصل إلى دفة التوجيه والتغيير ، ولا تنس أن الفرق بين الداعية وغيره من الناس أن الله يحتسب للداعية أجر عمله ولو كانت النهاية فاشلة بالمقياس البشري .

١٩- إياك والاستعجال المذموم :

يقول ﷺ : «**التأني من الله والعجلة من الشيطان**» ، فقد يقع الداعية الجديد في استعجال أمر فيجد عاقبة يندم عليها مدى الحياة ، ومن صور ذلك استعجال الداعية تحول الناس عن معاصيهم ، أو استعجالهم في نقل الأخبار المغلوطة ، أو استعجاله في تخطئة الدعاة والعلماء والمربين ، والأخطر استعجال الداعية في البروز للناس والتكلم بينهم فيما لا يحسنه .

٢٠- لتكن دعوتك شمولية :

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام : " وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب ، من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله الأمر به ، وكل ما أبغضه الله ورسوله من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله النهي عنه " ، وهذا يوضح أن موضوع الدعوة هو الإسلام كله عقيدة وشرعاً وأخلاقاً ومعاملة ، وأن المدعوين هم جميع الناس كل بحسبه .

٢١- إياك والفوضوية :

بعض الدعاة المتحمسين يبذلون جهوداً في مجالات عديدة ، ويضربون في كل وادٍ بسهم إلا أن هذه الجهود تثمر ثماراً هزيلة ، وسبب ذلك الفوضوية الدعوية ، لذا يقال للداعية : عليك بتنظيم طريقتك الدعوية ومعرفة الأولويات ، ومن صور الفوضوية : الفوضوية في طلب العلم الشرعي ، أو في التعامل مع الأنشطة الدعوية ، في ترتيب الأولويات والموازنة بين الواجبات ، أو غير ذلك من الصور .

٢٢- لا تنس استشارة أهل الخبرة والعلم :

يتناسى بعض الدعاة وهم في بداية الطريق أن الدعوة إلى الله وسيلة تتعلق بأطراف كثيرة وتحتاج إلى خبرات عديدة ، ولذا إذا خاضوا غمار مخالطة المدعوين تبين لهم أمور تحتاج إلى اتخاذ مواقف وتقديم أولويات وتقدير المصالح من المفاسد ، وهذا كله يعني حاجة

هؤلاء الدعاة إلى استشارة أهل الخبرة والعلم ليصلوا إلى أحسن النتائج ، ولعل من أسباب تجاهل الاستشارة تصور بعض الدعاة أنه أدرك الأمر من جميع الزوايا وهو لا يدري أنه علم أشياء وفاته أخرى .

٢- أدومه وإن قل :

ثبت عنه ﷺ : **«أن أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه»** ، وكان هديه ﷺ المداومة على العمل ، ألا يمكن للدعاة إلى الله أن يستضيئوا في دعوتهم بمعاني هذا الحديث ويتمثلوها ، فالدعوة إلى الله من أفضل الأعمال ، فينبغي أن تسلك هذا المسلك ، فالمداومة في الدعوة تعني معاني عديدة منها :

أن تكون للدعوة عموماً أهداف واضحة محددة ، وأن لا تكون الدعوة مجرد ردود فعل لمواقف معينة ، وأن لا تكون الدعوة دعوة مناسبات ومواسم أو محصورة بأوقات فراغ الداعية ، كذلك لزوم الداعية موقعه والمحافظة عليه ، ذلك أنه تبدو أمامه في كل وقت مجالات وفرص متعددة ، فينبغي أن يحافظ على مكانه ولا يجاوزه إلا لمصلحة ظاهرة ، أما أولئك الذين يتنقلون كل يوم من ميدان إلى آخر فما أقل إنتاجهم ، كذلك عدم احتقار الميادين المهمة التي لها أثر عميق لكنه غير عاجل الثمرة ، كميادين التربية والبناء ، فالذي يعي مفهوم المداومة يرى أنه ليس بالضرورة أن تكون الأعمال ذات الأثر العاجل السريع خيراً منها وأولى .

٢- إياك وحب الرئاسة :

فإن الداعية إذا حرص على العلو على الآخرين فبذل الغالي والرخيص ليصل إلى إدارة مجموعة أو ترؤس لجنة خيرية أو غيره فإنه يوقعه في مفاسد عديدة : كضياع الإخلاص واتباع الهوى وغيره ، ومن صور ذلك : حب الإمامة والخطابة ليبرز أمام الناس وكذا حب التدريس والتأليف ليشتهر ، وكثرة مدح النفس وذكر الفضائل[1] .

* * * * *

(١) ملخصاً من كتاب "وصايا للداعية الجديد" للشيخ عادل العبد العالي .

المبحث العاشر
كيفية أداء الدعوة وأساليبها

قد بيَّنها الله عز وجل في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنة نبيه ﷺ، ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] فبين الله سبحانه وتعالى الطريق والكيفية التي يجب أن يتصف بها الداعية ويسلكها، يبدأ أولاً بالحكمة، والمراد بها: الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق أو الأدلة من الكتاب والسنة وسنتكلم عن موضوع الحكمة في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة في الفصل الثاني بالتفصيل إن شاء الله.

وكذلك فإن الداعية إلى الله عز وجل مع كونه يدعو بالحكمة لابد أن يتحلى باللين وعدم الطيش والاتزان في دعوته ولابد أن تكون دعوته قائمة على الموعظة الحسنة بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، وعليه أن يجادل بالتي هي أحسن ويصبر ولا يتعجل ولا يعنف، بل يجتهد في إيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن، ولقد أمر جل وعلا موسى وهارون - عليهما السلام - لما بعثهما إلى فرعون أن يقولا له قولاً ليناً وهو أطغى الطغاة، قال الله جل وعلا في أمره لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤]، وقال الله سبحانه وتعالى في نبيه محمد ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أما إذا ظهر من المدعو العناد والظلم، فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

١ - أسلوب القدوة الحسنة:

القدوة الحسنة:

يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

فهذا ذنب لمن يأمر بالمعروف ولا يأتيه ، فإذا كان الداعية آمراً المدعو بأمر هو نفسه لابد أن يفعله ، أو إذا نهاه عن شيء وهو يفعله فإن دعوته تبوء بالفشل .

ولهذا يجب على الداعية أن يكون قدوة حسنة ، وقد ثبت الوعيد الشديد لأولئك الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه كما في الصحيحين من حديث أسامة ابن زيد قال: قال ﷺ : **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقطاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»** (١) .

فالعامة إذا وجدت عند الداعية سيئة واحدة ، و٩٩ حسنة ، لغلبت هذه السيئة على تلك الحسنات ، لذا يجب عليه أن يكون قدوة حسنة . فالداعية كالثوب الأبيض ، كل نقطة سوداء تظهر فيه .

تعريفه :القُدوة والقِدوة في اللغة : الأسوة ، يقال : فلان قدوة يُقتدى به .

والقِدَةُ : المثال الذي يتشبه به غيره ، فيعمل مثل ما يعمل .

وقُيدت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة ، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة ، وقد جاء في الحديث الشريف : **«من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»** .

القدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين :

أ - قدوة حسنة مطلقة : أي معصومة عن الخطأ والزلل ، كما هي في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

(١) سبق تخريجه .

لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة: ٤] .

وقال : ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

ب - وقدوة حسنة (مقيدة) أي بما شرعه الله عز وجل ؛ لأنها غير معصومة ، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يقتدى بهم في أمور دون أخرى ، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري ، أو خطأ اجتهادي ، لذا كان الاقتداء بهم مقيدًا بموافقة شرع الله . . .

وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوبًا عامًا يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحًا حسنًا كان نبيًا رسولاً ، أو كان تابعًا للرسل الكرام ناهجًا نهجهم في عمله .

٢ - أهمية أسلوب القدوة الحسنة :

تبرز هذه الأهمية من عدة أمور، منها :

١ - جعل الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده ، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم ، فأرسل الرسل ، وقصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر باتباعهم ، والاقتداء بهم ، فقال : ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

٢ - إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها : أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة ، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع ، ولا سيما في الأمور العملية ، ومواقف الشدة وغيرها . . . وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان .

٣ - إن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم ، حتى الأمي منهم ، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره ، ويقلده ولو لم يفهمه .

ومن هنا : كان فضل الصحبة للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - لا يعدله شيء ، وكان إنكار الله عظيمًا على من يخالف قوله عمله ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ - ٣] .

- ابتسامة مشرقة :

أى ابتسامة مشرقة كانت ترتسم على محيى النبى الرحيم ؟! . .

أى بشر وأى سرور كان يفيض من قلبه على البشر كل البشر ؟! . .

تلك الابتسامة التى جعلت جرير بن عبد الله البجلى ينتبه لها ويتذكرها ويكتفى بها هدية من الرسول العظيم فيقول : -

(ما رآنى رسول الله ﷺ إلا تبسم فى وجهى) .

فهذه الابتسامة المشرقة التى يشرق بها وجه النبى أجل عند جرير من كل الذكريات وأسمى من كل الأمنيات . .

كانت تعلو محياه تلك الابتسامة المشرقة المعبرة .

فإذا قابل بها الناس أسر قلوبهم ومالت إليه نفوسهم وتهافتت عليه أرواحهم .

يصف الأديب الأريب الدكتور عائض القرنى ابتسامة النبى فيقول :

يبتسم عن مثل البدر فى وجه أبهى من الشمس وجبين أزهى من البدر وفم أطهر من الأقحوان وخلق أندى من الرياض وود أرق من النسيم .

يمزح ولا يقول إلا حقاً فيكون مزحه على أرواح أصحابه أهنى من قطرات الماء على كبد الصادى وألطف من يد الوالد الحانى على رأس ابنه الوديع .

يمازحهم فتنشط أرواحهم وتنشرح صدورهم وتنطلق أسارير وجوههم .

فلا والله ما يريدون الدنيا كلها فى جلسة واحدة من جلساته .

ولا والله لا يرغبون فى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فى كلمة حانية وادعة مشرقة من كلماته) .

وها هو عبد الله بن الحارث يصف لنا قدوتنا فيقول : -

"ما رأيتُ أحداً أكثر تبسمًا من الرسول ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ لا يُحَدِّث حديثاً إلا تبَسَّم وكان مِن أضحك الناس وأطيَبَهم نَفسًا" .

فلماذا العبوس يا داعية الإسلام ؟؟

أتحمل هما أكبر من هم رسول الله ؟؟

ابسط وجهك وتذكر قول رسول الله ﷺ : «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**»(١) .

وقال ﷺ : «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**»(٢) وهكذا كان الصحابة رضى الله عنهم فقد قيل لعمر رضى الله عنه هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون . قال : نعم والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي .

ويقول الأستاذ محمد قطب : (لا يكفي المال وحدة لتأليف القلوب ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية ، لابد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف ، المستمد من روح الله ، ألا وهو الحب ، الحب الذي يطلق البسمة من القلوب فينشرح لها الصدر وتنفرج القسمات فيلقى الإنسان أخاه بوجه طليق) .

يقول ابن القيم في أهمية البشاشة :

(إن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب فليس الثقلاء بخواص الأولياء ، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك ، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفاً ، فترى الصادق فيها من أحب الناس وألطفهم وقد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع) .

ويقول الإمام ابن عيينة :

(والبشاشة مصيدة المودة ، والبر شيء هين : وجه طليق وكلام لين) .

ونحن نسأل: كم هو الجهد الذي تبذله والتعب الذي تعانيه لكي تبتسم في وجه أخيك؟! لا تكلفك الابتسامة مالاً تخرجه من جيبك ، ولا وقتاً تضيعه من وقتك ، ولا جهداً ترهق به بدنك . . ابتسامة كما يقال: لا تكلف شيئاً ، ومع ذلك بعض الناس يبخلون بها ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

فمـن بخل بما لا خسران عليه فيه فهو أشد الناس بخلاً ولا شك ، ولذلك يقول بعض الذين كتبوا في 'علم النفس والمعاملات الإنسانية': إن الابتسامة لا تكلف شيئاً ، ولكنها تعود بالخير الكثير ، إنها تغني أولئك الذين يأخذون ، ولا تفقر أولئك الذين يمنحون' . فإذا لم يكن عندك مال تعطيه فأعط من بشاشة وجهك ، فهذا الذي ينبغي أن يكون من الإنسان لأخيه المسلم .

فالابتسامة مفتاح كل خير ومغلاق كل شر .

لها مفعولها السحرى وأثرها العجيب .

ولا يمكن أن يتجاهل الابتسامة من يرغب فى كسب محبة الآخرين والتأثير عليهم وفتح مغاليق قلوبهم .

يقول الصينيون فى حكمة يرددونها : -

(إن الرجل الذى لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغى لـه أن يفتح متجراً) .

ونحن نقول : -

(إن الداعـية الـذى لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغى لـه أن يمارس الدعوة قبل أن يتعلم فن الابتسامة) .

وفى كتابه الرائع فيض الخاطر يقول أحمد أمين : -

(لـيس المبتـسمون للحـياة أسـعد حـالاً لأنفسهم فقط بل هم كذلك أقدر على العمل وأكثر احتمالاً للمسئولية وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب والإتيان بعظائم الأمور التى تنفعهم وتنفع الناس .

لـو خيرت بين مال كثير أو منصب خطير وبين نفس راضية باسمة لاخترت الثانية فما المال مع العبوس ؟! وما المنصب مع انقباض النفس؟!

وما كل ما فى الحياة إذا كان صاحبه ضيقاً حرجاً كأنه عائد من جنازة حبيب ؟!

وما جمال الزوجة إذا عبست وقلبت بيتها جحيما ؟!

لخير منها - ألف مرة - زوجة لم تبلغ مبلغها فى الجمال وجعلت بيتها جنة .

النفس الباسمة ترى الصعاب فيلذها التغلب عليها تنظرها فتبتسم وتعالجها فتبتسم وتتغلب عليها فتبتسم والنفس العابسة لا ترى صعاباً فتخلفها وإذا رأتها أكبرتها واستصغرت همتها بجانبها فهربت منها وقبعت فى جحرها تسب الدهر والزمان والمكان وتعللت بلو وإذا وإن .

وما الدهر الذى لعنه إلا مزاجه وتربيته إنه يود النجاح فى الحياة ولا يريد أن يدفع ثمنه يرى فى كل طريق أسداً رابضاً .

إنه ينتظر حتى تمطر السماء ذهباً أو تنشق الأرض عن كنز .

ليس يعبَس النفس والوجه كاليأس .

فإذا أردت الابتسام فحارب اليأس .

إن الفرصة سانحة لك وللناس والنجاح مفتوح بابه لك وللناس .

فعود عقلك تفتح الأمل وتوقع الخير فى المستقبل .

فما أحوجنا إلى البسمة وطلاقة الوجه وانشراح الصدر ولطف الروح ولين الجانب .

٤ - ولنا فى حبيبنا ﷺ القدوة الحسنة . .

إن انقباض الوجه والعبوس والاشمئزاز والتذمر ومرادفات هذه الكلمات مصطلحات نحذرك وننصحك بمحوها من قاموس حياتك .

طلب عمال أحد المحلات التجارية الكبرى فى باريس رفع أجورهم فرفض ذلك صاحب العمل فما كان من عماله إلا أن اتفقوا أن لا يبتسموا للزبائن كرد فعل على صاحب المحل .

فكانت النتيجة أن انخفض دخل المحل فى الأسبوع الأول حوالى ٦٠٪ عن متوسط دخله فى الأسابيع السابقة فانظر أثر عبوس الوجه .

وصدق ربى الخبير بالنفوس حين قال: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وما أجمل أن نقرأ عن الابتسامة ما أورده ديل كارنيجى فى كتابه الابتسامة . .

إنها لا تكلف شيئاً ولكنها تعود بالخير الكثير .

إنها تغنى أولئك الذين يأخذون ولا تفقر أولئك الذين يمنحون !

إنها لا تستغرق أكثر من لمح البصر لكن ذكراها تبقى إلى آخر العمر !

لن تجد أحداً من الغنى بحيث يستغنى عنها ولا من الفقر فى شىء وهو يملك ناصيتها ؟

إنها تشيع السعادة فى البيت وطيب الذكر فى العمل .

وهى التوقيع على ميثاق المحبة بين الأصدقاء .

إنها الراحة للتعب وشعاع الأمل للبائس وأجمل العزاء للمحزون .

وبرغم ذلك فهى لا تشترى ولا تستجدى ولا تقترض ولا تسلب !

إنها شىء ما يكاد يؤتى ثمرته المباركة حتى يتطاير شعاعاً !

فإذا ما أتاك رجالنا ليبيعوك ما تحتاج إليه وألفيتهم من التعب والإرهاق بحيث عز عليهم الابتسام فكن أخا كرم وامنحهم ابتسامة من عندك . .

فوالله إن أحوج الناس إلى الابتسامة هو الذى لم يبق لـه شىء من الابتسام ليهبه . ![1]

٥ - هيا يا داعية الإسلام ويا صانع الحياة..... ابتسم:

يا من تريد أن تمتلك مفاتيح القلوب لتغرس فيها الخير والإيمان .

لترتسم على وجهك ابتسامة مشرقة ابتسامة حقيقية تنبع من أعماق قلبك .

ذلك القلب الذى امتلأ بحب الناس ففاض بشراً وسروراً ، فالابتسامة لها رونق وجمال ، وتعابير تضفي على وجه صاحبها الراحة والسرور ، بل رتب النبيﷺ أجراً عليها وقالﷺ : «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» وقالﷺ : «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**» والإمام البخاري جمع أحاديث كثيرة للرسولﷺ وبوب لها باب :(باب التبسم والضحك) دليل على الابتسامة التي كان يحرص عليها الرسولﷺ ،

(١) د/ عمرو الشيخ/ بتصرف/ صيد الفوائد .

والإمام مسلم كذلك في صحيحه أحاديث بوب لها الإمام النووي فقال في كتاب الفضائل . . (باب تبسمه وحسن عشرته) وبوب الشيخ الغماري الأحاديث التي فيها (ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه) في مؤلف سماه (شوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة) ، كل هذا وغيره بيان لجوانب تبسمه ﷺ . وهكذا كان الصحابة رضى الله عنهم فقد قيل لعمر رضى الله عنه هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون . قال : نعم والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي . يقول الشاعر :

هشت لك الدنيا فما لك واجماً ... وتبسمت فعلام لا تتبسم
إن كنت مكتئباً لعز قد مضى ... هيهات يرجعه إليك تندم

٦ - موانع الابتسامة :

لنقف أخي الكريم على أهم أسباب موانع الابتسامة عند البعض . .

١ - الظن أن ذلك من الجدية : يظن البعض أن عدم الابتسام هو جزء من الجدية التي لابد منها في شخصية الإنسان وهي من كمال الدين ، وهذا ظن ليس في محله حيث إن الناس جُبلوا على الميل والمحبة لمن يبش في وجوههم ، وأما ما يتعلق بالجدية فإنه لا يوجد أكثر من جدية الرسول ﷺ وعن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : (نعم كثيراً ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية ، فيضحكون ، ويبتسم)[1] . ولم يكن هذا التبسم لينقص من مكانته ﷺ وإنما هو اللطف الذي ما خالط شيئاً إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه .

٢ - الخوف من قسوة القلب : يخلط بعض الناس بين الإكثار من الضحك والذي أخبر به الرسول ﷺ أنه سبيل لموت القلب وبين أهمية وضرورة الابتسام والضحك المعتدل لتقويم النفس وإزالة الهم وكسب الآخرين . . وعلينا الانتباه جيداً إلى شطحات الزهاد فإنها كثيرة كقولهم : (ما ضحك فلان قط) أو(ما رأي فلان إلا مهموماً) فهذا خلاف الفطرة والسنة النبوية . وما جاء في نص الحديث الذي رواه ابن ماجه بإسناد صحيح: «**لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**» فلم ينه عن الضحك إنما نهى عن كثرته .

---

(١) رواه مسلم .

٣- ظروف النشأة : لها دور كبير في حياة الإنسان ، فمن يولد بين أبوين غضوبين تقل الابتسامة على محياه ، فلا تراه مبتسماً أبداً ، وهذا تبعاً للظروف البيئية التي تحيطه .

٤- طبيعة الإنسان العصبية ، وكثرة سوء الظن عنده ، وتعامله الصعب ، كلها عوامل تدفع الإنسان إلى قلة التبسم .

٧ - الهدية :

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**تهادوا تحابوا**»[١] .

إن الهدية تورث المحبة ، ولها ذكرياتها الخاصة ، ويجب على الداعية ألا يؤخر تقديم شيء من الهدايا ولو كانت متواضعة ، فالهدية عنوان المحبة ، وهذه الهدية ليست لمن تربطك به علاقة قديمة ، بل إذا أراد الداعية أن يكسب فرداً جديداً فيجب عليه أن يقدم له هدية ، حتى ولو قَلَّت قيمتها ، ولكنها ستمهد الطريق إلى قلب المدعو ، الذي سيأتي إليك تلقائياً وسيبادلك الهدية والحديث ، وسيوحي إليك بكثير من أسراره وآلامه ، أما الذي يجعلك تضع العلاج لبعض تلك المشاكل التي يعاني منها ، فيجب على الداعية أن يربط تلك القضايا بالدين حتى يتمكن الإيمان من قلب المدعو ، مع الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى .

لله در الهدية! تلك الوسيلة التي تطفئ نيران الضغائن ، وتحل أعقد الأزمات والمشكلات والنزاعات ، فللهدية عظيم الأثر ، وجسيم الخبر في استجلاب المحبة وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب .

وهي دليل على الحب ، وبريد إلى القلب ، وهي شعار التقدير ، وعنوان التكريم ، ولذلك فقد قبل النبي ﷺ الهدية ، ومنحها ، وأقرها ، وأخذها من المسلم والكافر ، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل ، وحث النبي ﷺ على التهادي ، فبها تطيب القلوب وتذهب وحر الخصومة .

٨ - الهدية سبيل الحب :

نعم ، الهدية سبيل الحب ، وبساط الود ، وأكسير الألفة ، لقول نبي الرحمة ﷺ : «**تهادوا**

---

(١) البيهقي في الكبرى٦/ ١٦٩ ، وإرواء الغليل ٦/ ٤٤ .

تحابوا»[١].

قال القرطبي: "فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، وفيه الأسوة الحسنة، ومن فضل الهدية - مع اتباع السنة - أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس".

وانظر إلى صنيع بلقيس!

فقد كانت - بحق - عبقرية؛ عندما استخدمت سلاح الهدية؛ وأثره في تغيير النفوس، محاولة منها لاستقطاب أعظم ملوك الدنيا آنذاك، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥].

قال قتادة: "يرحمها الله! إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها؛ قد علمت أن الهداية تقع موقعا من الناس!".

ولهذا أُثر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الهدية تأخذ بالسمع والبصر والقلب**»[٢].

وقال: «**تَهَادَوْا تَحَابُّوْا نِعْمَ مِفْتَاحُ الحَاجَةِ الهَدِيةُ**»[٣].

٩ - الصحابة والتابعون وهداياهم:

وانظر وتأمل كيف كانت هدايا الصحابة والتابعين، كيف كانوا أذكياء عندما عاشوا معاني وقيم "الهدية" في حياتهم اليومية، وكيف أصبحنا أغبياء - عفواً - عندما ماتت فينا ومن بيننا ومن حولنا أخلاق "التهادي".

* وأقبل سعيد بن العاص يوماً يمشي وحده في المسجد، فقام إليه رجل من قريش، فمشى عن يمينه، فلما بلغا دار سعيد، التفت إليه سعيد؛ فقال: ما حاجتك قال: لا حاجة لي؛ رأيتك تمشي وحدك فوصلتك. فقال سعيد لجاريته: ماذا لنا عندك؟ قالت: ثلاثون ألفا. قال ادفعيها إليه.

* كان شريح إذا أهديت له هدية لم يرد الطبق إلا وعليه شيء.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق ١١٠.
(٣) الأمثال في الحديث ٢٨٨.

* وأهديت إلى إبراهيم بن أدهم هدية، فلم يكن عنده شيء يكافئه، فنزع فروه؛ فجعله في الطبق وبعث به إليه!

ولا تَرد الهدية.. مهما كانت حقيرة:

وإياك، إياك أن تستصغر الهدية مهما ضعفت، وتحتقر المنحة مهما صغرت، وتتكبر على الأعطية مهما حقرت..

لقول النبي ﷺ: «**لو أهدي إلي كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت**».

(صحيح) والكراع: من الدابة ما دون الكعب. يعني شيء هين لا يذكر.

وإذا رددت الهدية.. فبين سبب ردها.

فلو أهدي إليك ما حُرم، أو ما لك فيه عذر لرده، فبين ذلك لصاحب الهدية، ووضح له الأمر بسماحة ولطافة مرفقة بابتسامة، جبرًا للخاطر.

ففي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشيًا، وهو بالأبواء أو بودان، فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال: "أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم".

٩ - واظفر قلوب هؤلاء.. بالهدية:

١ - الأقربون أولى بالمعروف، وعلى رأسهم الآباء والأمهات.

٢ - من يختلف معك في الفكر أو المذهب..

٣ - من يحرص على الإساءة إليك، أو التجريح فيك، أو النيل من عرضك.

٤ - من ترغب في هدايته إلى طريق الالتزام والتدين.

٥ - من ترغب في ضمه إلى العمل الجماعي الخيري أو التطوعي.

كان هذا هو مجال الكلام، فبقي ميدان العمل، فقم، وانهض وطبق هذه السنة الميتة، فاحرص على الهدية ولو كانت رمزية، ولو سمحت بعد فراغك من قراءة هذه الصفحة.. قم بتوزيع شيء من الهدايا قدر استطاعتك على الأحباب والفقراء.

١٠ - استخدام بعض المزاح:

لا بأس من استعمال شيء من الدعابة والمزاح المباح، وذلك لإبعاد استثقال المدعو للداعية، فالداعية إذا كان مرحاً كان هذا أدعى لأن يحبه المدعوون - ولكن من دون إفراط فقد كان ﷺ يستخدم المزاح، ولكنه إن مزح لا يقول إلا حقاً وروى الترمذي في الشمائل عن الحسن البصري رحمه الله قال: أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة فقال: «**يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز**» فولَّت تلك العجوز تبكي، فقال ﷺ: «**أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول:** ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]» .

وهذا الأثر حسنه الإمام الألباني في مختصر الشمائل:

وللأسف الشديد أصبح المتدينون يُعرفون الآن بالتكشير، وعدم المزاح، والتعصب والتشدد، وذلك فهم خاطئ طبعاً، بل يجب على المسلم أن يكون به شيء من المزاح، وأن يقول الحق فيه كما كان النبي ﷺ والصحابة والسلف الصالح فقد كان الشعبي يمزح والأعمش كذلك وكثير من المحدثين من سلف هذه الأمة، وخير الأمور أوسطها .

* * * * *

obeikandl.com